أروع ما قيل في الزهد

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت

أروع ما قيل في الزهد

أروع ما قيل في الزهد

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت



للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب: ١٤/٥٠٧٠ - بيروت - لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مقدمة

الزهد، في اللغة، خلاف الرغبة في الشيء، أو الحرص عليه. وفي الاصطلاح هو الكفّ عن المحارم، والتـوبة إلى الله؛ وهو القناعـة، والاكتفاء بـالحاجـة، والرضى بـالقليل، وصرف النظر عن بهرج الحياة وزينتها؛ وهو نهي النفس عن الهوى، وتخلية القلب، وصفاؤه، ورقته وشفافيته.

والزهد أحد أغراض الشعر العربي الغنائي، خطا خطواته الأولى بصورة غير مستقلة، فظهر أول ما ظهر، في تضاعيف القصيـدة الحكمية، أو غيـر الحكمية، ومـا لبث أن استقـل بنفسه، فكان ثمة قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وأضحى له روّاده وعشاقه وممثلوه الحقيقيون.

والزهد بخلاف التصوف الذي هو الانقطاع التام عن الدنيا، والانصراف إلى العبادة، والاستغراق في ذات الله، والذوبان في عالم الروح الأرحب؛ وهو يشكل بحد ذاته مذهباً فكرياً قائماً بنفسه، ويحتاج إلى بحث مستقل ليس في هذا الكتاب

مجال الحديث عنه، أو انتخاب نماذج شعرية منه.

ولا ينكر دور الإسلام في تعزيز ظاهرة الزهد، ذلك أن تعاليم الدين الجديد تحث، بوجه عام، على الورع، والتزود بالتقوى، والعمل للآخرة بالتهجد والعبارة، والانقطاع عن الرغبة في الحياة الدنيا.

وثمة عوامل كان لها تأثير في ازدهار الشعر الزهدي، ولا سيما في العصر العباسي، وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة خاصةً، منها العامل السياسي، ويتمثل بانصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد بعيداً عن الخوض في المسائل السياسية والدينية والمذهبية التي كانت قائمة يوم ذاك، والتي كانت تشكل لبّ الصراع بين العرب والموالي، والأموية والعباسية، والقيسية واليمنية، وبين القدرية والجبرية، والمرجئة والمعتزلة والأشعرية، والشيعية والسنيّة... إلخ.

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور شعر الزهد، العامل الاجتماعي الأخلاقي، ويتمثل بظهور فئة من الشعراء الذين ساءهم شيوع اللهو والمجون، وتفشي الخمرة والغناء، وكثرة عدد الجواري والإماء والغلمان، فلم يستطع هؤلاء الشعراء أن يقفوا في وجه هذا التيار الجائش، فعكفوا على ذواتهم، وراحوا يعبرون عن نقمتهم وسخطهم، بالإخلاص إلى أنفسهم نجيّاً، وبالتعبير عن صفاء النفس بأروع آيات الشعر الزهدي.

وثمة عامل هو العامل الثقافي الذي على أساسه تبلورت مفاهيم الزهد، وأرسيت قواعده، ويتمثل بتأثير الأفكار الصوفية الدخيلة من فارسية وهندية ويونانية ومسيحية، فظهر أثر هذا كله في فكر عدد من كبار الشعراء الزهاد.

وأياً يكن العامل المؤثر في ظهور شعر الزهد، هذا النبع الثري الذي فاضت به قرائح الشعراء، وإليه اطمأنت نفوسهم التي تمردت على الطمع والشره والترف، مستنيرة بهدي العقل والدين، فإن مما لا شك فيه أن بواكير هذا الشعر ظهرت في العصر الجاهلي، وإن لنا في شعر بشر بن أبي خازم، ولبيد بن ربيعة العامري، وعدي بن زيد العبادي، في العصر المذكور، وفي حكمة علي بن أبي طالب وفي الشعر المنسوب إليه، في العصر الإسلامي، وفي شعر منصور التميمي، ومحمد بن يسير، وعبد الله بن المبارك، ومحمود الوراق، وصالح بن عبد القدوس، وأبي نواس، وأبي العتاهية، في العصر العباسي، ما يعزز ما ذهبنا إليه من قبل، فكانت أشعار هؤلاء جميعاً، وأشعار غيرهم من الشعراء دليلاً صادقاً على تعزيز ظاهره الزهد، وبروز هذا الغرض الشعري الذي أخذ مكانه عالياً في أغراض الشعر الغنائي العربي.

واستتباعاً للفائدة، وتمشياً مع أصول البحث المنهجي، وانسجاماً مع تدرج الشعر في عصور الأدب العربي، ولأن جلّ

ما قيل في الزهد، كـان ثمرة مواهب شعراء العصر العباسي، فإننا قسمنا هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي التالية:

١ ـ في ما قبل العصر العباسي.

٢ ـ في العصر العباسي.

٣ ـ في ما بعد العصر العباسي.

والمهم في الأمر، هو أننا حرصنا، في هذا الكتاب، على أن نشرك القاريء في أمر اختيارنـا أفضل مـا قيل في شعـر الزهد، ومن هنا كان اسم الكتاب «أروع ما قيل في الزهد»، فإن سرّ قارئنا ما اخترناه له فنعمّـا ذلك، وإن سـاءه أو أضرّ بذوقه، فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق وسـوء الاختيار. وإلى اللقاء في غرض آخر من أغراض شعرنا العربي الغنائي.

د. يحيى شامي

الباب الاول

في ما قبل العصر العباسي

عدي بن زيد

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

من رائع الشعر الحكمي والزهدي معاً، وهو على قدر كبير من الجودة، والمتانة، والرقة، والسلاسة معاً، ما قاله الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة قد نزل، ومعه عدي، في ظل شجرة مونقة ليلهو هناك، فقال له عدي: أيها الملك، أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ
أَنَّهُ مُوفٍ على قرنِ زوالِ

وصُروفُ الدّهرِ لا يبقى لها
ولما تأتي بهِ صُمُّ الجبال

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حَوْلَنا
يمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزّلال
والأباريقُ عليها فُدُمٌ
وجيادُ الخيلِ تَرْدي في الجلال
عمروا الدَّهْرَ بعيشٍ حَسَنٍ
قطعوا دهرَهُمُ غيرَ عجال
ثم أضحوا عَصَفَ الدَهرُ بِهِمْ
وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالِ[1]

* * *

(أينَ أهل الديار)

ومن أحسن ما قاله عدي، وكان سفيان بن عيينة يستحسنه، قوله:

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ
ثم عادٌ مِن بعدِها وثمودُ
بينما همْ على الأسِرَةِ والأنماطِ
أفضَتْ إلى التُرابِ الخدودُ

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٩٤. مكتبة المعارف. بيروت. وموفٍ: مشرف. وصروف الدهر: حوادثه وشدائده. وصم الجبال القوية الصلبة. والزلال: الصافي الرائق العذب. والفدم: أغطية أباريق الخمر. وتردي: تسرع.

وصـحـيـح أمس يـعـودُ مـريـضـاً
وهـو أدنى لـلمـوتِ فـمـن يـعـودُ
ثـم لـم يـنـقضِ الـحـديثُ ولـكـنْ
بـعـد ذا كـلِّه وذاكَ الـوعـيـدُ[1]

* * *

(أين كسرى)

، رائع شعر عدي، قوله في الزهد، وفي وصف الدنيا:

أيْـنَ كِـسْـرى كـسـرى الـمـلوكِ
أنـوشـروانَ أمْ أيـنَ قـبـلَه سـابـورُ
وبنـو الأصفرِ الكـرامِ ملوك الـرّومِ
لـم يـبـقَ مـنـهـمُ مـذكـور
وأخـو الـحضْـنِ إذْ بـنـاه وإذ دجـلة
تُـجـبـى إلـيـه والـخـابـورُ
شـادَهُ مـرمـراً وجـلَّلَه كِـلْـسـاً
فـللطّيْـرِ فـي ذراهُ وكـور
لـم يـهبْـه ريـبُ الـمـنـونِ فـبـادَ
الـملكُ عـنـه فـبـابُـه مـهـجـور

د الفريد، لابن عبد ربه ١/٣٢٣. لجنة التأليف والترجمة والنشر
اهرة ١٩٦٥ م.

ثم صاروا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ

فألوَتْ بهِ الصَّبَا والدَّبورُ[1]

* * *

جبلة بن حريث

(والدهر في كل حاليّه دهارير)

ومن أروع شعر الزهد، وأرقه، وأكثره إثارة، قول جبلة بن حريث العذري مناجياً نفسه، مخاطباً قلبه:

يا قلبُ إنَّكَ في الأحياءِ مغرورُ

فَاذْكُرْ وهلْ ينفعنْكَ اليومَ تذكيرُ

حتّى متى أنتَ فيها مُدْنَفٌ وَلِهٌ

لا يستفِزَّنْكَ منها البدرُ والحورُ

قد بُحْتَ بِالجهلِ لا تُخفيهِ عنْ أحدٍ

حتى جرتْ بكَ أطلاقٌ محاضير

تريدُ أمراً فما تدرِي أعاجلُهُ

خيرٌ لِنَفْسِكَ أمْ ما فيهِ تأخير

فَاسْتغفرِ اللَّهَ خيراً وَارْضَيَنَّ بهِ

فبينما العسرُ إذْ دارتْ مياسير

---

(١) نفسه ١/١٢٥.

وبينمــا المــرءُ في الأحيــاءِ مغتبــطاً
إذْ صــارَ في الرَّمْسِ تعفوه الأعـاصير
حـتى كــأنْ لـم يـكـنْ إلّا تــوهُّـمُــهُ
والـدّهـرُ في كــلِّ حـاليْــهِ دهـاريـر
يبكي الغـريبُ عليــه لـيسَ يعــرفُــه
وذو قــرابـتِــه فــي الـحـيِّ مـســرور
فــذاكَ آخــرُ عهــدٍ من أخـيــك إذا
مـا ضُمِّنَتْ شِلْوَهُ اللُّحْدُ المحـافيـر[1]

* * *

بشر بن أبي خازم

(فإنّ العزّ في الياس)

ومن زهديات بشر بن أبي خازم، قوله:

إضْرَعْ إلى اللَّهِ لا تضرعْ إلى النّاسِ
وَاقْنَـعْ بيأسٍ فـإنَّ العِـزَّ في اليــاسِ
وَاسْتغْنِ عن كلِّ ذي قُرْبى وذي رحِمٍ
إنَّ الغنيَّ من اسْتَغنى عن النــاسِ[2]

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٦.
(٢) نفسه ١/٣٢٨.

(وجرى بالخير سعد)

وقريب من المعنى الأول قوله:

لَيسَ يُجدي الحرصُ والسّـ
ـعيُ إذا لم يكُ جدُّ
ما لِما قدْ قدَّرَ اللّهُ
مِنَ الأمرِ مَرَدُّ
قد جرى بالشّرِّ نحسٌ
وجرى بالخيرِ سعد
وجرى الناسُ على جر
يهِمُ قبلُ وبعدُ
أمِنوا الدّهرَ وما للدهرِ
والأيامِ عهدُ
غَالَهُمْ فَاصْطلمَ الجمعَ
وأفني ما أعدُّوا
إنّها الدُّنيا فلا تحفلْ بـ
ـها: جَزْرٌ ومدّ[1]

* * *

(١) نفسه ١/٣٢٩. وغالهم: أهلكهم. واصطلم: قطع وأهلك.

(بلينا وما تبلى النجوم الطوالع)

ومن جيد ما قاله أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر الجاهلي المخضرم، أبيات زهدية حكمية رائعة ضمنها مرثاته لأخيه، ومنها قوله:

بَلينا وما تَبْلى النُّجومُ الطّوالعُ
وتبقى الجبالُ بعدَنا والمصانعُ
وما المرءُ إلاّ كالهلالِ وضوئِه
يحورُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطع
أليسَ ورائي إنْ تراختْ منيّتي
لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابع
أُخَبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ
أدبُّ كأنّي كلّما قُمْتُ راكع
فلا تبعدَنْ إنَّ المنيَّة موعدٌ
علينا فدانٍ لِلطُّلوع وطالع
لَعَمْرُكَ ما تدري الضّواربُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطّيرِ ما اللّهُ صانع[1]

* * *

(١) ديوان لبيد ٨٩ - ٩٠. تحقيق إحسان عباس الكويت ١٩٦٢ م. والمصانع: =

(وكل نعيم لا محالة زائل)

ومن أبيات لبيد الحكيمة، المشهورة، وفيها نلمس روح الزهد في الحياة، وهو من أصدق القول:

أَلا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ
وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

* * *

(وبإذن الله ريثي وعجل)

ومن جيد حكمه وزهده، قوله:

مَن هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهْتدى
ناعمَ البالِ وَمَنْ شاءَ أضلّ
أحمدُ اللَّهَ فلا نِدَّ له
بيديْه الخيرُ ما شاءَ فعل
إنَّ تَقْوى ربِّنا خيرُ نفلْ
وبإذنِ اللَّهِ رَيْثي وَعَجَلْ[1]

* * *

= المباني والدور. ويحور: يرجع. وضوارب الحصى: اللاتي يضربن الطير. وزاجراته: الصائحات بالطير لمعرفة الخير من الشر تبعاً لطيرانه يمنة أو يسرة.

(١) رسالة الغفران، للمعري، ص ١٢٥. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م. والريث: المهل. والنفل. العطاء والخير والند: النظير.

(أين الأسرّة والتيجان والحلل)

الأبيات التالية، وهي تدخل في صميم شعر الزهد، وتمثل الذروة منه حكمة ومثلاً وخاطرة وعبرة، لا يعرف قائلها بالتحديد، وإن نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب، فهي موجودة في طبعات ديوانه. وإذا فاتت الإمام علياً، فإنها لم تفت أحد أبنائه وأحفاده من الأئمة الذين نسبت إلى بعضهم كالإمام الكاظم، والإمام الرضا. وفي مطلق الأحوال فإن القصيدة إن فاتت هؤلاء فقد تكون نظمت في عهد العباسيين، بعد أن أفلت زمام الخلافة من أيديهم وصارت لعبة في أيدي القواد والولاة من الأعاجم. وأياً يكن الدافع على وضعها، وأياً كان صاحبها فإننا نثبت أكبر قدر من أبياتها، نظراً إلى أهميتها، وهي التالية[1]:

باتُوا على قُلَلِ الأجبالِ تحرسُهم
غُلْبُ الرِّجالِ فلمْ تنفعْهُمْ القُلَلُ[2]

واسْتُنْزلوا بعدَ عِزٍّ عنْ معاقِلهمْ
فأُودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٩٧. المطبعة العلمية. القاهرة ١٣١٩ هـ.

(٢) قلل الجبال: رؤوسها. وغلب الرجال: أقوياؤهم وأشداؤهم.

نـاداهمُ صارخٌ مِنْ بعـدِمـا دُفِنـوا
أيـنَ الأَسِـرَّةُ والـتّـيـجـانُ والْـحُـلَلُ
أينَ الـوجـوهُ التي كـانتْ مُنَعَّمـةً
مِن دونِها تُضْرَبُ الأستارُ والكِلَلُ[1]
فَـأَفْصَحَ القبـرُ عنهمْ حينَ سـاءلهم:
تلكَ الـوجـوهُ عليهـا الـدّودُ يَقْتَتِـل
قـدْ طـالما أكلوا دهـراً ومـا شـرِبـوا
فأصبحوا بعـدَ طولِ الأكـلِ قد أُكِلوا
وطـالمـا كثَّـروا الأمـوالَ وادَّخـروا
فخلّفـوهـا عـلى الأعـداءِ وَارْتحـلوا
وطـالمـا شيّـدوا دُوراً لِـتَحْصِنَـهم
ففـارقـوا الـدّورَ والأهليـنَ وانْتـقلوا
أضحتْ مسـاكِنُـهم وَحْشـاً مُعَـطَّلةً
وساكنوهـا إلى الأجداثِ قـد رَحلوا[2]
سـلِ الـخليفـةَ إذ وافـتْ منيَّتُـه
أينَ الجنـودُ وأينَ الخيـلُ والْخَـوَل[3]

(١) الكلل، جمع كلة، وهي الستر الدقيق.
(٢) الأجداث: القبور.
(٣) الخول: الخدم.

أين الكنــوزُ التي كــانتْ مفــاتحُهــا

تنــوءُ بِالْعصبــةِ المقــوينَ لــوْ حَملوا[1]

أينَ العبيــدُ الأُولى أرصــدْتَهم عــدداً

أينَ العــديــدُ وأينَ البيْضُ والأَسَــلَ[2]

أينَ الفــوارسُ والغلمــانُ مــا صنعــوا

أين الصّــوارمُ والـخِـطِّيَّــةُ الــذُّبُــل

أين الكـفــاةُ ألمْ يـكفــوا خـليفـتَهُـمْ

لـمّــا رَأَوْه صــريعــاً وهْــو يـبتـهــل

أين الكمــاةُ أمــا حــامـوا أمــا غضِبـوا

أين الحماةُ الّتي تُحمى بها الــدُّوَل[3]

أين الــرّمــاةُ ألم تمنــعْ بِــأَسْـهُمِـهِمْ

لمّــا أَتَتْـكَ سِهــامُ المــوتِ تنتضــل

هيهــاتَ مــا منعــوا ضيْمــاً ولا دفعــوا

عنــكَ المنيّــةَ إذْ وافى بهــا الأجــل

مــا ســاعــدوكَ ولا واســاكَ أقــربُهم

بـلْ أسلمـوكَ لهــا يــا بِئْسَ مــا فعلوا

---

(١) تنوء: تعجز.

(٢) البيض: السيوف. والأسل: الرماح.

(٣) الكماة: الأبطال. والضيم: الذل.

مـا بــالُ قبـرِكَ لا يُنْشى بـه أحـدٌ
ولا يَـطُورُ بـه مِنْ بَيْنِهـم رجـل[1]
ما بـالُ قصـرِكَ وحشـاً لا أنيسَ بـه
يغشـاكَ مِن كنفيْـهِ الـرَّوعُ والـوهـل
مـا بـالُ ذكـرِكَ منسيّـاً ومُـطَّرَحـاً
وكلُّهم بِـاقْتسـامِ المـالِ قـد شغلوا
لا تُنْكِـرنَّ فـمـا دامتْ عـلى مـلِكٍ
إلَّا أنـاخَ عليـه المـوتُ والـوجـل
وكيفَ يُـرجى دوامُ العيشِ متّـصـلاً
وروحُـه بِجبـالِ الـمـوتِ متّـصـل
وجسمُـه لِلبُـانـاتِ الـرّدى غـرضٌ
ومُـلْكُـهُ زائـلٌ عـنـه ومنـتـقـل[2]

* * *

(لك الحمد يا ذا الجود)

ومن مأثور كلام علي بن أبي طالب في الزهد، وفي التقرب إلى الله تعالى، والشكر له، قوله:

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلى
تبـاركْتَ تُعـطي مَن تشـاءُ وتمـنـعُ

---

(۱) ينشى: يعلم. ويطور: يطوف.

(۲) اللبانات: الأغراض. والردى: الهلاك.

إلٰهي وخلاّقي وحِرْزي وموئلي
إليكَ لدى الإعسارِ واليُسرِ أفزع
إلٰهي لئِنْ خَيّبتني وطردْتَني
فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفِّع
إلٰهي ترى حالي وذلّي وفاقتي
وأنتَ مناجاتي الخفيَّة تسمع
إلٰهي فلا تقطعْ رجائي ولا تُزِغْ
فؤادي فلي في بابِ جودِكَ مطمع
إلٰهي لئنْ عذّبتني ألفَ حجّةٍ
فحبلُ رجائي منكَ لا يتقطَّع
إلٰهي إذا لم تعفُ عن غير محسنٍ
فمنْ لمُسيء بِالهوى يتمتّع
إلٰهي لئنْ فرّطْتُ في طلبِ التُّقى
فها أنا إثرَ العفوِ أقفو وأتبع
إلٰهي أقلْني عثرتي وَامْحُ حَوْبتي
فإني مقرٌّ خائفٌ متضرّع[1]

* * *

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١٦١/١. رشيد يوسف عطا الله. ط ١. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م. والحوبة: الذنب.

الحسين بن علي (ت ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م)

(فما بال متروك به الحرّ يبخل)

وثمة بيتان منسوبان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، يتضمنان معنى سامياً، هو الحث على التخلي عن جمع المال، والحرص على طلبه وجمعه، وهما في غاية الروعة والجودة، والبيتان هما التاليان:

إذا كانتِ الأرزاقُ قسْماً مُقَدَّراً
فقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ
ولو كانتِ الأمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها
فما بالُ متروكٍ بهِ الحرُّ يَبْخَلُ

* * *

أبو الأسود (ت ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م)

(فادع الإله وأحسن الأعمالا)

ولأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو، واضع علم النحو المشهور، أبيات في العزوف عن الدنيا، وفي الزهد والقناعة، وهي تتميز بالسهولة والسلاسة:

وإذا طلبْتَ مِنَ الْحوائِجِ حاجةً
فادْعُ الإلٰهَ وأَحْسِنِ الأعمالا

فَلَيُعْطِيَنَّكَ ما أرادَ بِقدرةٍ
فهْو اللطيفُ لما أرادَ فعالا
وَدَعِ العبادَ ولا تكنْ بِطلابِهم
لَهِجاً تَضَعْضَعُ لِلعبادِ سُؤالا
إنَّ العبادَ وشأنَهم وأمورَهم
بيدِ الإلهِ يقلِّبُ الأحوالا[1]

* * *

(فسيكفيك مسيئاً عمله)

ومن جيد قول أبي الأسود وبليغه:

أيّها الآملُ ما ليسَ لهُ
رُبَّما غَرَّ سفيهاً أَمَلُهْ
رُبَّ مَن ماتَ يُمنيّ نفسَهُ
حالَ مِن دونِ مناهُ أَجَلُهُ
والفتى المحتالُ في ما نابَه
ربّما ضاقتْ عليه حِيَلُهْ
قلْ لمنْ قد ماتَ في أشعارِه
يهلكُ المرءُ ويبقى مَثَلُهْ

---

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١٠٨/١. ط بولاق وط دار الكتب
وتضعضع: تذل.

نــافسِ المحسنَ فـي إحســانِــه
فَـسَيَـكْفيــكَ مـسيئــاً عـمـلُهْ[1]

* * *

شبيب بن البرصاء

(وإني لترّاك الضغينة)

ومن جيـد ما قـاله شبيب بن البـرصاء الشـاعر الإسـلامي الأموي :

وإنـي لَتَـرّاكُ الـضَّغـيـنـةِ قـدْ بـدا
ثـراهـا مِنَ الْمـولى فـلا أَسْتَثيـرُهـا
مـخـافـةَ أنْ تـجـنـي علـيّ وإنّـمـا
يَهيـجُ كبيـراتِ الأمـورِ صـغيـرُهـا
فـلا خيـرَ في العيـدانِ إلاّ صِـلابُهـا
ولا نـاهضاتِ الـطّيرِ إلاّ صقـورُهـا[2]

* * *

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

(٢) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٢/٧٠٦. ط ١. دار القلم. بيروت والضغينة: الذل. وناهضات الطير: الباسطة أجنحتها.

(يا خاطب الدنيا)

ومن المجانين الذين كانوا عقلاء، وما هم بمجانين، سعدون المجنون، العالم والزاهد البصري؛ وله شعر في الحكمة والزهد لا يخلو من طرافة وجدة، وإن منْه ذاك الذي يذم به الدنيا، داعياً إلى التزود بالتقوى والعمل الصالح. يقول سعدون، وهو من أسهل القول:

يا خاطبَ الدّنيا إلى نَفْسي
إنَّ لها في كلِّ يومٍ خليلْ
ما أقبحَ الدّنيا بِخُطّابِها
تقتلُهم عمداً قتيلاً قتيلْ
تستنكحُ البعلَ وقد وُطِّئَتْ
في موضعٍ آخرَ منه البديل
إنّي لَمُغْتَرٌّ وإنَّ البِلى
يعملُ في نفسي قليلاً قليل
تزوّدوا لِلموتِ زاداً فقدْ
نادى مُناديهِ الرّحيلَ الرحيلْ[1]

---

(١) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث، لعلي عطوي. ص ٢٢٨. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.

(كذاك الدهر يبكيكا)

ومن جيد شعره الزهدي، ذاك الذي يخاطب به الرشيد، واعظاً ومحذّراً، وكان الرشيد قد خرج من مكة في موكب مهيب:

هَبِ الدُّنيا تُواتيكا
ألَيسَ الموتُ يأتيكا
فما تصنعُ بالدّنيا
وظِلُّ الميلِ يَكْفيكا
ألا يا طالبَ الدّنيا
دعِ الدنيا لِشانيكا
كما أضحكَكَ الدّهرُ
كذاكَ الدهرُ يُبْكيكا[1]

* * *

حميد بن ثور

(فلا تأمنن بيات المنون)

ومن الشعر الزهدي الذي قاله حميد بن ثور الهلالي، الشاعر الإسلامي، والصحابي، مرشداً الإنسان إلى المصير المحتوم، قوله:

---

(١) نفسه ص ١٨٣.

فــلا تَــأْمــنَنَّ بــيــاتَ الــمــنــونِ
وكــنْ حــذِراً حــدَّ أظــفــارِهــا
فــإنَّ الــمــنــيَّــةَ مــا أَسْــأَرَتْ
مِــنَ الْـقــومِ عــادتْ لإســآرِهــا[1]

* * *

ميسون بنت بحدل

(ولبس عباءة وتقر عيني)

ومن ألطف ما قيل في الزهـد في الحياة، والعـزوف عن مبـاهجها، شعـر قالتـه ميسـون بنت بحـدل الكلبيـة، وكـان معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنّت إلى البـادية، التي نشـأت فيها فقـالت هذه الأبيـات السهلة ذات المسحة الزهدية. وهي التالية:

لَــبَــيْــتٌ تَــخْــفــقُ الأرْواحُ فــيــهِ
أَحَــبُّ إلــيَّ مِــن قــصــرٍ مُــنــيــفِ
ولــبْسُ عــبــاءةٍ وتــقــرَّ عــيــنــي
أحــبُّ إلــيَّ مِــن لــبسِ الــشّــفــوفِ

---

(١) حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره، لرضوان النجار. ص ١٧٥. رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.

وأصــواتُ الــرّيــاحِ بــكــلِّ فــجٍّ
أحــبّ إلـيَّ مِــن نــقــرِ الــدُّفــوف
وأكــلُ كُسَيْـرةٍ فـي كـســرِ بـيـتـي
أحـبُّ إلـيّ مِــن أكــلِ الــرغـيــف
وخــرقٌ مِـن بـنـي عـمّـي نـحـيـفٌ
أحــبُّ إلـيَّ مِــن عِـلْجٍ عــليـفِ[1]

* * *

(تفانوا جميعاً)

ومن ألطف المعاني الزهدية، في أرق الشعر وأجزله معاً، ما قاله مالك بن دينار، مولى بن أسامة بن لؤي، وكان زاهداً ورعاً، ومن رجال الحديث. يقول مالك:

أتــيْــتُ الــقــبــورَ فــنــاديــتُــهــنَّ
أيْــنَ الــمــعــظّمُ والــمــحــتــقَــرْ
وأيــنَ الــمــذلُّ لِــســلطانِــه
وأيــنَ الــمــزكّــى إذا مــا افْــتَــخَــرْ

(١) تـاريخ الآداب العـربية ص ٣٤. والأرواح، في البيت الأول، الريـاح، ومنيف: عـال. والشفـوف: مـا رقّ من الثيـاب. والعلج: الضخم. والعليف: السمين. وهنا تشير إلى معاوية.

تفانَوْا جميعاً فما مُخبرٌ
ومَاتوا جميعاً وماتَ الخبَرْ
تروحُ وتغدو بناتُ الثّرى
وتُمحى محاسنُ تلكَ الصُّوَر
فيا سائِلي عنْ أُناسٍ مضوا
أمالَكَ في ما تَرى مُعْتَبَرْ[1]

* * *

الطرماح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(عجباً ما عجبت)

ومن الشعراء الوعاظ الحاثين على الزهد في متاع الدنيا، والداعين إلى التمسك بحبل الله، وإلى العمل بالتقوى، الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج. يقول الطرماح:

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدّةَ
العمرِ ومودٍ إذا انْقضى عددُهْ
عجباً ما عجبْتُ مِن جامعِ المالِ
يُباهي بهِ ويرتفدُه
ويضيعُ الذي يصيّرُه اللّهُ
إليه فليسَ يعتقده

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣٣/٢. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

يومَ لا ينفعُ المخولَ

ذا الثروةِ خِلّانُه ولا ولده

ثم يُؤتى بهِ وخصماه

وسطَ السّجنِ والإنسُ رجلُه ويده

خاشع الطّرفِ ليسَ ينفعُه

ثَمَّ أمانيهِ ولا لَدَدُهْ[1]

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م)

(أخاف وراء القبر)

والفرزدق على الرغم من فاحش هجائه، وخبث لسانه، فإنه نسك في أواخر حياته، ومما قاله في النسك والزهد، مصوراً هول يوم الحساب والقيامة:

أخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِني

أشدَّ منَ القبرِ التهاباً وأَضْيَقا

إذا قادني يومَ القيامةِ قائدٌ

عنيفٌ وسوّاقٌ يسوقُ المرزدقا

لقد خابَ مِن أولاد آدمَ من مشى

إلى النّارِ مغلولَ القِلادةِ موثقا

(١) شعر الزهد، ص ١١٨

إذا شـربـوا فيهـا الحمـيمَ رأيْتَهـم
يـذوبـونَ مِن حـرِّ الحميمِ تَمَـزُّقـا[1]

* * *

عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ/ ٧٤٩ م)

(ما نالني من غنى)

من الشعراء الذين ثابوا إلى رشـدهم من بعد غيّ ولهـو، الشـاعر الأمـوي عبد الله بن معـاويـة، من كـرام بني هـاشم وأجوادهم. ولقد صوّر في شعره شيئاً من الندامة على ما فات من عمره في معصية الله، كما ضمنه ملامح من الوعظ والزهد والإرشاد والتوكل على الله والرضى بالقليل من الـرزق الذي كتب للمرء، وأنى يفوته، أو يدرك دون ما قسم له، وحول هذا المبحث الأخير يقول عبد الله:

قَـدْ يُرْزَقُ المـرءُ لا مِن فضـلِ حيلتِـه
ويُصْرَفُ الرّزقُ عنْ ذي الحيلةِ الدّاهي
مـا نـالني مِن غِنىً يـومـاً ولا عـدمٍ
إلّا وقـولـي عليـه الْـحـمـدُ لِـلّهِ[2]

* * *

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٧١.

(٢) العقد الفريد ٢/١٨٣، والعدم: الفقر.

(ولكن سل الله من فضله)

ومن مواعظه التي تدور حول المعنى السابق، قوله:

ألا تـزعِ الـقـلبَ عـنْ جـهـلِهِ
وعـمّـا تُـؤنِّـبُ مِـنْ أجـلِهِ
فـأُبـدِلَ بـعـد الصِّـبا حـلمـهُ
وأَقـصـرَ ذو الـعـذْلِ عـن عـذلـه
ولا تُـتـبـع الـطّرفَ مـا لا تـنـالُ
ولـكـنْ سـلِ الـلَّهَ مِـن فـضـلِه
فـكـمْ مِـن مُـقِـلٍّ يـنـالُ الـغِـنى
ويُـحـمـدُ فـي رزقِـه كـلِّهِ[1]

* * *

(الموت هول داخل)

وأمام هول الموت، وصروف الدهر يقف الشاعر متأملاً متسائلاً فيقول:

يـا قَـومُ كـيفَ سـواغُ عـيشٍ
لـيسَ تُـؤمَـنُ نـاجـعـاتُـهْ

(١) الأغاني ١١/٧٨. وتزع: تردع. والحلم، العقل، خلاف الجهل، والعذل: اللوم.

لـيـسـتْ تـزالُ مـطلّةً
تـغـدو عـليـكَ مُـنَـغِـصّـاتـه
الـمـوتُ هـولٌ داخـلٌ
يـومـاً عـلى كـرْهٍ أنـاتـهُ
لا بـدَّ لـلحـذرِ الـنّـفـورِ
مـنَ أنْ تُـقَـنِّـصَـهُ رُمـاتُـه[1]

* * *

(١) المصدر نفسه ٢١٣/٣ . والحذر النفور: الأسد الهصور.

الباب الثاني

في العصر العباسي

ربيعة الرّقي

(فإنّ المنيّة من خلفه)

ومن الشعر الزهدي الهاديء النبرة، اللين العبارة، ما قاله ربيعة بن ثابت الأنصاري، وكان يسكن الرقة، وهو من شعراء العصر العباسي الأول؛ يقول ربيعة ناصحاً وواعظاً:

ولا تسألِ النّاسَ ما يملكونَ
ولكنْ سَلِ اللَّهَ وَاسْتَكْفِهِ
ولا تخضعَنَّ إلى سفلةٍ
وإنْ كانتِ الأرضُ في كَفّهِ
فإنَّ اللّئيمَ وإنْ خِلْتَهُ
كريماً يذودُكَ عن عُرْفِه
ويرجع محصولُ أخلاقِه
إلى أصلِهِ وإلى صنفِه

وكــلّ مُــقِــلٍّ وذي ثــروةٍ
فــإنَّ الــمــنــيّــةَ مِــن خَــلْفِــه(١)

* * *

القاسم بن إبراهيم

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن أسلس الشعر الزهدي، وأسهله مأخذاً، وأغناه معنى، ما وعظ به الناس القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو محمد بن إبراهيم، الذي خرج في عهد المنصور؛ يقول القاسم:

أيُّهــا الــطّالبُ أجْـمِــلْ وَاقْـتَـصِــدْ
وأرِحْ نــفــسَــكَ مِــن جــهــدٍ وكــدّ
لا يــزيــدُ الــحــرصُ مِــن رزقٍ ولا
يُــنــقصُ الإخــمــالُ مِــن رزق أحــدْ
فَــاتَّــعِظ واسْــمــحْ لــمــا أنــتَ لــه
وتــزوّدْ زادَكَ الــيــومَ لِــغَــد
إنّــمــا الــدنــيــا مــتــاعُ زائــلٌ
عــن قــليــلٍ وإلــى الــلّهِ الــمــردُّ(٢)

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ١/١٧١. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م. والسفلة: الرعاع. والعرف: المعروف. تحقيق هوارت دن. ط بغداد وبيروت.

(٢) أخبار الشعراء، أو كتاب الأوراق، للصولي ص ١٩٦.

(فإنك مجزي بما أنت صانع)

ويقول القاسم بن صبيح في المعنى نفسه:

سَـأَطْلُبُ بِـالإجمـالِ مـا أنـا طـالبٌ
وإنّـي إذا مـا ضـاقَ رزقٌ لَقَـانِـعُ
وإنّـي لأَسْتَغْنـي فمـا أبـطرُ الْـغِنـى
ومـا الـمـالُ إلاّ عـارضٌ وودائـع
ألا أيُّهـا الـلاّهي وقـد شـابَ رأسُـه
أَلَمَـا يَـزِعْـكَ الشّيْبُ والشّيبُ وازع
تـرحّـلْ مِنَ الـدُّنيا بِـزادٍ مِنَ التُّقى
فـإنّـكَ مَجْـزِيٌّ بِمـا أنتَ صـانـع[1]

* * *

(وأتى المشب فأين منه المهرب)

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة، وأسلسوا لشهواتهم القياد، ثم ما لبثوا أن تابوا إلى ربهم، مخلفين شعراً في الزهد والتوبة والموعظة، صالح بن عبد القدوس، أحد موالي الأزد،

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥. وبالإجمال: بالرفق والإقتصاد. وأبطر: أكفر.

في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية؛ يقول صالح من شعر له. في غاية الجودة والفصاحة والسلاسة:

دَعْ هـذه الـدُّنْيـا عـداكَ زمـانُـه
وَازْهَـدْ فعُمـركَ مَـرَّ مِـنْـهُ الأَطْيَـبُ

ذهبَ الشّبـابُ فمـا لـهُ مِنْ عـودةٍ
وأتى المشيبُ فـأينَ منـه المهـربُ

وغـرورُ دنيـاكَ التي لا تسـعى لهـا
دارٌ حقيـقتُـهـا متـاعٌ يـذهـب

تـبّـاً لِـدارٍ لا يـدومُ نعـيـمُـهـا
ومشيُـدهـا عمّـا قليـلٍ يخـرب

فعليـكَ تقوى اللّهِ فـالْـزَمْهـا تَفُـزْ
إنَّ التَّـقِـيَّ هـو البـهـيُّ الأهـيب

وَاعْمـلْ بطاعتـهِ تَنَـلْ فيـه الرّضـا
إنَّ المـطيـعَ لـه لـديْـهِ مقـرَّب

وَاقْنـعْ ففي بعضِ القنـاعـةِ راحـةٌ
واليـأسُ عمّـا فـاتَ فهـو المطلبُ[1]

* * *

(١) شعر الزهد ص ٢٨٦.

(فبلاؤه حسن جميل)

ومن شعر ابن عبد القدوس الزهدي، شعره الآخر ويتميز بالسهولة والرشاقة، وفيه يقول:

اللَّهُ أحمدُ شاكراً
فبلاؤه حسنٌ جميلُ
أصبحْتُ مستوراً مُعافى
بينَ أَنْعُجِهِ أجولُ
خلْواً مِنَ الإخْوانِ خفُّ
الظَّهْرِ يُقنَعُني القليل
سيّانِ عندي ذو الْغِنى
المتلافُ وَالْمُثْري البخيل
ونفيتُ باليأسِ المنى
عنّي فطابَ ليَ القليل
والنّاسُ كلُّهُمُ لِمَنْ
خفَّتْ مؤونتُه خليل[1]

* * *

(بلوت أمور الناس)

ومن بديع زهدياته وحكمه قوله:

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٧.

بلوْتُ أمــورَ النــاسِ سبعينَ حـجّــةً
ولابسْتُ صرفَ الدّهرِ في العُسْرِ واليُسْرِ
فلم أرَ بعــدَ الـدينِ خيــراً مِنَ الْغِنى
ولـم أرَ بعـدَ الكفـرِ شـرّاً مِنَ الْفقـرِ[1]

* * *

محمد الباهلي

(والشيب للجهل حرب)

ومن الشعراء الذين تابوا إلى ربهم وزهدوا في الحياة الدنيا من بعد ما قضوا حياة عامرة باللهو، محمد بن حازم الباهلي، الشاعر العباسي الذي دخل يوماً على إبراهيم بن المهـدي، فناشده، وآكله، ولما حضر الشراب سأله إبراهيم أن يشرب فأبى، ثم قال من جيد الشعر الزهدي وأسلسه:

أَبَــعْــدَ خــمــســيــنَ أَصْــبــو
والــشَّــيْــبُ لِــلــجــهــلِ حَــرْبُ
سِــنٌّ وشــيْــبٌ وجــهــلٌ
أمــرٌ لَــعَــمْــرُكَ صــعــبُ

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ٤٢٤. بيروت ١٤٠١ هـ.

آلَيْتُ أشربُ كأساً
ما حجّ لِلَّهِ رَكْبُ[1]

* * *

العلوي البصري

(قتلت الناس إشفاقاً)

ومن الأبيات الدالة على التألّه، وفيها من روح الزهد والندامة ما نسب إلى العلوي البصري من قول هو التالي :

قتلتُ الناسَ إشفاقاً
على نَفْسِيَ كيْ تبقى
وحزتُ المالَ بالسّيفِ
لكيْ أنعمَ لا أشقى
فمنْ أبصرَ مثوايَ
فلا يظلِمْ إذاً خَلْقا
فوا وَيْلي إذا ما متُّ
عندَ اللَّهِ ما ألقى
أخلداً في جِوارِ اللَّهِ
أم في نارِه أُلْقى[2]

---

(١) الأغاني ١٢/١٦٤.

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦.

(ومضى بفصل قضائه أمس)

وقال أصبغ بن الفرج: كان بنجران عابد يصيح في كل يوم صيحتين بهذين البيتين:

قطعَ البقاءَ مطالِعُ الشّمسِ
وغُدُوُّها مِن حيثُ لا تُمْسي
وطلوعُها حمراءَ قانيةً
وغروبُها صفراءَ كَالْوَرْسِ
اليومَ يُخبرُ ما يجيءُ بهِ
ومضى بفضلِ قضائِه أمسِ[1]

* * *

(أي صفو إلاّ إلى تكدير)

ومن أصفى الشعر الزهدي، وهو لا يخلو من الحكمة والمثل، والطرافة والجدّة، وهو في غاية الرقة والسلاسة، والجودة ما قاله الشاعر العباسي المجدّد، محمد بن يسير الرياشي، وكأنما هو ينعي نفسه قبل الموت. يقول:

(١) العقد الفريد ١/٣٢٢. والورس: الزعفران.

أيُّ صَفْوٍ إلاّ إلى تكديرِ
ونعيمٍ إلاّ إلى تغييرِ

وسرورٍ ولذّةٍ وحبورٍ
ليسَ رهناً لنا بيومٍ عسيرِ

عَجَباً لي ومِن رضائِي بِدُنْيا
أنا فيها على شَفا تغريرِ

عالمٌ لا أشكُّ أنّي إلى اللَّهِ
إذا متُّ أو عذابِ السّعيرِ

ثُمَّ ألهو ولسْتُ أدري إلى
أيِّهما بعدَه يصيرُ مصيري

أيُّ يومٍ عليَّ أفْظعُ مِن يومٍ
بِهِ تُبرزُ النُّعاةُ سريري

كلّما مُرَّ بي على أهلِ نادٍ
كنتُ حيناً بِهِمْ كثيرَ المرور

قِيلَ مَن ذا على سريرِ المنايا
قيلَ هذا محمّدُ بنُ يسيرِ(١)

* * *

(١) الكامل في اللغة ٢٤٢/١. ورهناً: وقفاً. وشفا: حافة. والتغرير: الخداع. وسريري: كناية عن النعش. والمنايا، جمع منية، الموت وعسير: شديد. والحبور: الفرحة والبهجة.

(ويل لمن لم يرحم الله)

ويتمثل خوف ابن يسير من مواجهة الموت، بل من مواجهة ما بعد الموت، بقوله الذي يتحسر فيه على الأيام التي قضاها في غير جنب الله، فيقول نادماً متحسراً:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ
وَمَنْ تكونُ النارُ مَثْواهُ

يا حسرتي في كلِ يومٍ مضى
يذكرُني الموتُ وأنساه

مَنْ طال في الدنيا بهِ عمرُهُ
وعاشَ فالْموتُ قُصاراه

كأنَّهُ قد قيلَ في مجلسٍ
قد كنتُ آتيهِ وأغشاه

وسارعَ الْيُسري إلى ربِّهِ
يرحمُنا اللَّهُ وإيّاهُ[1]

* * *

سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)

(وذخره الله العلي الكبير)

من ألمع رجال الحديث والتصوف في المائة الثانية من

(١) الأغاني ١٢/١٣٧. ومثواه: مقرّة. وقصاراه: غايته. وأغشى: آتي.

الهجرة، أبو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري الذي دعا إلى تعزيز الثقة بالله، والاعتماد عليه، وأن يفوّض له الأمر، بصدق، وبقناعة الزاهدين، وصبر التائبين. يقول سفيان ناصحاً وواعظاً:

إنْ كنتَ ترجو اللَّهَ فَاقْنَعْ بِهِ
فَعِندَهُ الفضلُ الكثيرُ البشيرْ
مَن ذا الذي تلزمُه فاقةٌ
وذُخْرُهُ اللَّهُ العليُّ الكبيرْ[1]

* * *

(إذا أنت لم ترحل بزاد)

كما يقول ثانية:

إذا أنْتَ لم ترحلْ بِزادٍ مِنَ التُّقى
ولاقيْتَ بعدَ الموتِ مَن قد تَزَوَّدا
نَدِمْتَ على أنْ لا تكون كَمثلِهِ
وأنّكَ لم ترصدْ لِما كانَ أَرْصدا[2]

* * *

---

(١) شعر الزاهد ص ١٠٧. والفاقة: الفقر.

(٢) نفسه ص ١٠٨.

(وبعد الثمانين ما ينتظر)

ومن أرق الشعر الزهدي، وألصقه بالنفس، وأصدقه، ما عبّر به عن نفسه الفضيل بن عياض، المروزي اليربوعي، وكان محدثاً وزاهداً؛ يقول الفضيل الذي بلغ الثمانين أو كاد:

بلغْتُ الثّمانينَ أوْجُزْتُها
فماذا أؤمّلُ أوْ أنْتَظِرْ
أتى لي ثمانونَ مِن مولِدي
وبعدَ الثمانينِ ما يُنْتَظَرْ
عَلَتْني السّنونَ فَأَبْلَيْتَني
فرقَّتْ عِظامي وكَلَّ البصرْ[1]

* * *

(كيف يبكي لمحبس في طلول)

ومن الشعراء الذين انصرفوا إلى اللذائذ ولهو العيش، وما

(١) شعر الزهد ص ١١١. ويقال إن الشطر الثاني من البيت الأخير، أتمه علي بن خشرم، وكان حاضراً لما قال الفضيل: (علتني السنون فأبلينني)، فخنقته العبرة، ولم يستطع إتمام الكلام.

لبثوا أن تابوا إلى ربهم، وعادوا عن غيّهم، بشار بن برد، الشاعر العباسي المجدد، وكان أعمى.

ويتميز شعره بالجدة والطرافة والعمق والابتكار. يقول بشار ذاكراً هول المحشر، ويدخل شعره في الزهد. ولا يخلو من نزعة تأملية:

كَيْفَ يَبْكي لِمَحْبِسٍ في طُلولِ
مَنْ سيقضي بِحبسِ يومٍ طويلِ
إنَّ في البعثِ والحسابِ لشغلاً
عنْ وقوفٍ بِرسمِ دارٍ محيلِ[1]

* * *

(وليس لأيام المنون خليل)

وقال في موضع آخر، ويدخل في المعنى نفسه تقريباً، وهو من جيد الشعر، وأفصحه:

بدا ليَ أنَّ الدَّهْرَ يقدحُ في الصَّفا
وأنَّ بقائي إنْ حييتُ قليلُ
فعِشْ خائفاً لِلموتِ أو غيرَ خائفٍ
على كلِّ نفسٍ لِلْحِمامِ دليلُ

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/١٦٤. دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

خليلُكَ مـا قـدْمتَ مِن عمـلِ التّقى
وليسَ لِأيّـامِ الـمـنـونِ خـليـل[1]

* * *

(ويوم الحزن منه طويل)

ويقول أيضاً، وهو من جيد شعره في الزهد:

لَعَلَّكَ تـرجـو أنْ تـعيشَ مـخلّداً
أبـى ذاكَ شُـبّـانٌ لـنـا وكُـهـولُ
ولِـلدّهـرِ أيّـامٌ قِـصـارٌ إذا سـرَتْ
بخيرٍ ويـومُ الحـزْنِ منهُ طـويـل[2]

* * *

(وسعى ساع وأخطأ في الرّجا)

ومنه أيضاً قوله الآخر الرائع:

مـا أراكَ الـدّهـرَ إلّا شـاخـصـاً
دائـبَ الـرّحـلةِ فـي غـيـرِ عَـنَـا
فـدعِ الـدُّنيـا وعِشْ في ظِـلِّهـا
طـلب الـدنـيـا مـنَ الـدّاءِ الْـقِـيـا

---

(١) زهر الآداب، للحصري ٢/٤٢٤. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣م.
(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٤.

ربّــمــا جــاءَ مــقــيــمــاً رزقُــهُ
وسعى ســاعٍ وَأَخْـطَى في الــرَّجـا[1]

* * *

الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م)

(فما لك نفسي بعدها تستعيرها)

ومن الشعر الغني بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة، ما قاله الشاعر الأموي العباسي، الحسين بن مطير مولى بني أسد بن خزيمة، يقول ابن مطير، وهو من جيد الشعر وأفصحه:

وما الجودُ مِن فقرِ الرِّجالِ ولا الغِنى
ولكنّ ذا خِيمُ الــرِّجــالِ وخِيــرُهــا
فكمْ طـامعٍ في حــاجـةٍ لنْ ينــالَهـا
وكم يــائسٍ منـهــا أتــاهُ بشيــرُهــا
ونـفسَــكَ أكــرِمْ عـن أمــورٍ كثيــرةٍ
فمــا لَـكَ نفسٌ بعــدَهـا تستعيــرُهـا
فمنْ يَتَّبِـعْ مـا يُعجبُ النفسَ لم يـزلْ
مُـطيعاً لهـا في فعـلِ شيءٍ يضيـرُهـا

---

(١) ديوان بشار ٤/١٥٣. لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.

ولا تقربِ الأمْرَ الحرامَ فإنّه
حلاوتُه تفنى ويبقى مريرَها
ولا تُلْهِكَ الدنيا عن الحقِّ واعْتمدْ
لِآخرةٍ لا بدَّ أنْ ستصيرُها[1]

* * *

(ولعلّ صهرك صاحب البيت)

ومن جيد ما قال أحدهم في وصف الدنيا، وفي الموت الذي لا بد منه، قوله:

زيّنْتَ بيتَك جاهلاً وعمرْتَهُ
ولعلَّ صهرَكَ صاحبُ البيتِ
من كانت الأيّامُ سائرةً بهِ
فكأنّه قد حَلَّ بالموْتِ
والمرءُ مرتهَنٌ بِسوفَ وليتني
وهلاكُهُ في السّوفِ واللَّيْت
لِلَّهِ إنَّ فتىً تدبَّرَ أمرَه
فَغَدا وَرَاحَ مبادرَ الموتِ[2]

(١) شعر الزهد ص ٦٢٧. والخيم: الطبع والأصل. والخير: الشرف والأصل. ومريرها: مرارتها.

(٢) العقد الفريد ١/ ٣٢٢.

(كن كيف شئت)

للخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وأحد أبرز المفلقين من العلماء في عصره، أشعار تنم عن نفس شفافة، زاهدة، وهي خلاصة لتجاربه في الحياة، ومن هذا القبيل، قوله:

كُنْ كيفَ شِئْتَ فَقَصْرُكَ الْموتُ
لا مُزْحَلٌ عنهُ ولا فَوْتُ
بينا غِنَىً بيتٍ وبهجتُهُ
زالَ الغِنَى وتقوَّضَ البيتُ[1]

* * *

(وما هي إلّا ليلة ثم يومها)

ومنه أيضاً قوله:

وما هي إلّا ليلةٌ ثمّ يومُها
وحَوْلٌ إلى حولٍ وشهرٌ إلى شهرِ
مطايا يُقَرِّبْنَ الجديدَ إلى البِلى
ويُدْنِينَ أشلاءَ الكرامِ إلى القبرِ

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٣٠٤. والمزحل: الزوال، والتباعد. وتقوّض: تهدم.

ويتـركْنَ أزواجَ الـغيـورِ لِـغيـره
ويقسمْنَ ما يحوي الشّحيحُ مِنَ الْوَفْرِ[1]

* * *

(فإن الذي هو آتٍ قريب)

ومنه، أيضاً، قوله:

وقبـلَكَ داوى الـطبيـبُ الـمـريضَ
فعـاشَ المـريضُ ومـاتَ الـطّبيـبُ
فكُـنْ مـسـتـعـدّاً لِـدارِ الـفـنـاءِ
فـإنَّ الـذي هـو آتٍ قـريـبُ[2]

* * *

(وإذا افتقرت إلى الذخائر)

وثمة بيت ينسب إلى الخليل، وهو في الغاية من البلاغة والحكمة والتوجيه للتزود بالعمل الصالح، وهو التالي:

وإذا افْتَقَـرْتَ إلى الـذَّخـائِـرِ لم تَجِـدْ
ذُخْـراً يكـونُ كصـالـحِ الأعمـالِ[3]

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٠٩ ـ ٢١٠. والأشلاء: القطع. والشحيح: البخيل.

(٢) المصدر نفسه ٥/٢١٠.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٤١.

(إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

للعتـابي، واسمـه كلثـوم بن عمـرو، من شعـراء الـدولـة العبـاسية، زمن الـرشيد والمـأمون، شعـر يتميـز بـالـطبعيـة والعفوية، وحسن التصرف بالكلام، وإن منه ذلك الذي يتسم بـالحكمة والـزهد، لجهـة الحث على التخلي عن الطمـع، والاكتفاء بالقليل. يقول العتابي:

حَتّى متى أنـا في حِـلٍّ وتَـرْحـالِ
وطـولِ شُـغْـلِ بِـإِدْبـارٍ وإقبـالِ
بِمشْـرِقِ الأرضِ طوراً ثم مغـربِها
لا يخطرُ الموتُ مِن حرْصٍ على بالي
ونـازحِ الـدّارِ مـا أنفـكُّ مغتـربـاً
عنِ الأَحبّـةِ مـا يَـدْرون مـا حـالي
ولـو قنعْتُ أتـاني الـرّزقُ في دَعَـةٍ
إنَّ القنوعَ الغِنى لا كثرةُ المـالِ[1]

* * *

(ذريني تجئني منيتي مطمئنة)

ولقـد عاتبتـه امرأتـه مـرة على تـرك السعي إلى العمـل،

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٩ . ونازح الدار: البعيد عنها.

والاكتفاء بالقليل، خلافاً لما فعله منصور النمري الذي اقتنى الضياع، وبنى الدور، وجمع النساء. يقول العتابي متحدثاً عن زوجته:

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهليّةٌ
طوى الدّهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
ذَريني تجئني مُنْيَتي مطمئنّةً
ولم أتقحَّمْ هولَ تلكَ المواردِ
فإنَّ كريماتِ المعالي مشوبةٌ
بِمُستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ[1]

* * *

(وليأتين عليك)

ومن لطيف شعر العتابي الزهدي، قوله:

الْمرءُ يجمعُ ما لَه مُسْتهتراً
فرحاً وليسَ بآكلٍ ما يجمعُ
وَلَيَأْتِيَنَّ عليكَ يومٌ مرّةً
يُنكى عليكَ مقنّعاً لا تسمعُ[2]

---

(١) عيون الأخبار ٢٣٢/١ . والباهلية: المنسوبة إلى باهلة، القبيلة العربية المعروفة. والطرف: الحديث من المال. والتالد: القديم، والأساود: الحيات جمع أسود.

(٢) العقد الفريد ٢٩٧/٣ . والمستهتر بالشيء: المولع به. وينكى: ينقلب عليك.

(ما ليس يبقى فلا والله ما اتّزنا)

ومن الزهاد الذي يشار إليهم بالبنان، وحفظ التاريخ لهم أسمى معاني القدر والاحترام، عبد الله بن المبارك، أحد أشهر الفقهاء والعلماء في عصره، عنيت العصر العباسي الأول، وأحد ألمع زهاد عصره، إطلاقاً، وإن من شعره الزهدي، ذاك الذي كان يخاطب نفسه به في كل مرة يخرج فيها إلى الحج. يقول ابن المبارك:

بُغْضُ الحيـاةِ وخـوْفُ اللَّهِ أَخْـرجني
وبيـعُ نفسي بمـا ليستْ لـه ثـمنـا
إنّـي وزنْتُ الـذي يبقى لِيعـدِلَـه
مـا ليسَ يبقى فـلا واللَّهِ مـا اتَّـزَنـا[1]

* * *

(فاستغن بالدّين عن دنيا الملوك)

وإن من شعره الزهدي الآخر، وفيه يتعجب ابن المبارك من الذين يسعون لدنياهم، فقصروا في ذات الله، وطمعوا بما عند الناس من ملوك وغير ملوك. يقول في هذا المعنى:

---

(١) شعر الزهد ص ٩١.

أرى أُناساً بِأَدْنى الدِّينِ قد قِنعوا

ولا أراهمْ رَضُوا بِالعيشِ بالدُّونِ

فَاسْتَغْنِ بالدِّينِ عن دُنْيا الملوكِ كما

اسْتَغْنى الملوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ(١)

* * *

(يحصده الموت كلما طلعا)

وثمة أبيات قالها ابن المبارك يدعو فيها طالب العلم والناس جميعاً، إلى مبادرة الزهد والورع، وهجر النوم والشبع. يقول:

يا طالبَ العلمِ بادرِ الْوَرَعا

وهاجرِ النَّوْمَ وَاهْجُرِ الشَّبَعا

يا أَيُّها النّاسُ أنتُم عُشُب

يحصدُهُ الموتُ كُلَّما طلعا(٣)

* * *

(فلم يبق للأيام كهل ولا فتى)

ومن رائع شعر الزهد الذي جادت به قريحة ابن المبارك، قوله:

ألا قِفْ بِدارِ المترفين وقُلْ لهمْ

ألا أينَ أربابُ المدائنِ والْقُرى

---

(١) المرجع نفسه ص ٩٢.

(٣) شعر الزهد ص ١١٠.

وأيـنَ المـلوكُ النّــاعـمــون بـغـبــطةٍ
ومَنْ عـانقَ الْبِيضَ الرَّعـابيبَ كَالـدُّمى
فـلو نــطقَتْ دارٌ لَـقــالَـتْ ديــارُهُــمْ
لـكَ الخيـرُ صــاروا لِلتُّـرابِ ولِلْبِلى
وأفـــنــاهــمُ كَـرُّ الــنّــهــارِ ولــيــله
فلم يبقَ لِــلأيّــامِ كهــلٌ ولا فتى[1]

* * *

(فطوبى لعبد شغله بك دائماً)

ومن الشعر الزهـدي المنسوب إلى عبـد الله بن المبارك، ويغلب عليه طابع التصوف، قوله:

وكــلُّ اجْتهــادٍ فـي ســواكَ مضيَّــعُ
وكــلُّ كــلامٍ لا بِــذكــرِكَ آفــاتُ
وكــلُّ اشْتغــالٍ لا بِحُبِّــكَ بــاطــلُ
وكــلُّ ســمــاعٍ لا لِقــولِــكَ زلّات
وكــلُّ اجتمــاعٍ لا إليــكِّ ضــلالــةٌ
وجــدٌّ وسـعـيٌ لا إلــيــكَ بــطالات
وكــلُّ وقــوفٍ لا لِبــابِــكَ خـيـبــةٌ
وكــلُّ عكــوف لا إليــكَ جنــايــات

---

(١) مجلة معهــد المخـطوطــات العــربيــة، ص٣١٣. ج١. مجلد ٢٨. ١٩٨٤م. والرعابيب، جمع رعبوبة، وهي الشابة الناعمة.

وكـلّ رجـاءٍ دونَ فـضـلكَ آيسٌ
وكـلُّ حـديثٍ عن سـواكَ خـطيئـات
وأنتَ حـراءُ الحبِّ والغيـرُ بـاطـلُ
فـطُوبى لِعبدٍ نـالـه منـكَ أوقـات
فيـا ويـلَ قلبٍ لم تكنْ فيـه سـاكنـاً
ويـا فـوزَ قلبٍ فيـه منـكَ مـودّات
فـطوبى لعبـدٍ شغـلُه بـكَ دائمـاً
كحـالِ مُحِـبٍّ أدركتْـهُ الـعنـايـات
وسحقـاً لِمـطرودٍ عنِ البـابِ مبعـداً
ولـيس لـه إلاّ التّشـاغـلُ هـمّـات
على نفسِـه فَلْيَبْـكِ مَنْ فـاتـه الهـدى
ولـيس لـه عـزمٌ إليـكَ ونـيّـات[1]

* * *

(إن السفينة لا تجري على اليبس)

وثمة بيتان من الشعر الزهدي، يتّسمان بالرقة، وينسبان إلى ابن المبارك، وهما التاليان:

مـا بـال دينـكَ تـرض أنْ تُـدَنِّسَـهُ
وثـوبكَ الـدّهـرَ مغسـولٌ مِنَ الـدَّنَسِ

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.

ترجو النّجاةَ ولم تسلكْ طريقتَها
إنَّ السّفينةَ لا تجري على اليبسِ[1]

* * *

ريحانة

(من كان راكب يوم)

ومن شواعر الحكمة والزهد، والتصوف، تلك المعروفة باسم ريحانة، وكان لقيها إبراهيم بن الأدهم، الصوفي المعروف، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول:

مَنْ كانَ راكبَ يومٍ ليسَ يَأْمُنُهُ
وليلة تائهاً في عقْبِ دنياهُ
فكيفَ يلتذُّ عيشاً لا يَطيبُ له
وكيفَ تعرفُ طعمَ الغمْضِ عيناه[2]

* * *

ميمونة

(دنيا غرارات)

ومنهن أيضاً، تلك المسماة ميمونة السوداء، التي لقيها

(1) المرجع نفسه ص ٣١٨.

(2) شعر الزهد ص ١٨٧.

عبد الله بن المبارك، فطلب أن تعظه، فقالت:

دُنْيا غرارات فذرْها
فإنّها مركبٌ جموحُ
دونَ بلوغ الجهولِ منها
منيةُ نفسِه تطوحُ
لا تركبِ الشَّرَّ فَاجْتَنِبْهُ
فإنّه فاحشٌ قبيحُ
والخيرُ فاقدمْ عليهِ جهراً
فإنّه واسعٌ فسيحُ[1]

* * *

(كذاك من مسكنه القبر)

ومن رائع شعرها الزهدي قولها:

وليسَ لِلْميِّتِ في قَبْرِه
فِطْرٌ ولا أَضْحى ولا عشرُ
باتَ مِنَ الأَهْلِ على قُرْبِه
كذاكَ مَنْ مسكنُه القبرُ[2]

* * *

---

(١) نفسه ١٩١.

(٢) نفسه ١٩٣.

(يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ومن جيد ما قال الغزال في الشعر الزهدي:

أصبحتُ وَاللَّهِ مجهوداً على مَلَلٍ
مِنَ الحياةِ فصبري غيرُ مُمْتَدِّ
وما أفارقُ يوماً مَنْ أفارقُه
إلّا حسبْتُ فراقي آخر العهد
أُنْظرْ إليَّ إذا أُدرجْتُ في كفني
وانظرْ إليَّ إذا أدرجْتُ في لحدي
وَاقْعُدْ قليلاً وعايِنْ مَن يُقيمُ معي
مِمَّنْ يُشَيِّعُ نعشي مِن ذوي وُدّي
هيهاتِ كلُّهمُ في شأنِه لعبٌ
يرمي التّرابَ ويحثوه على خدّي[1]

* * *

البهلول (ت ١٩٠ هـ)

(وفي العيش فلا تطمع)

ثمة اسم من أسماء المجانين، لمع في عهد الرشيد،

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

الخليفة العباسي، وما كان مجنوناً، لكنه تظاهر بذلك تقيةً، وإن كان به جنون حقاً، فهو جنون الحبّ الإلهي، وشدة مخافته الله سبحانه وتعالى، فلا عجب أن نجد كلام هذا المجنون، بهلول بن عمرو، وكنيته أبو وهيب الصيرفي الكوفي. . أقول لا عجب أن نجد في كلام أبي وهيب، وفي شعره خاصة، الكثير من المعاني الحكمية والزهدية القائمة على الوعظ والإرشاد، والاكتفاء بالقليل من المتاع، وإن من هذا الشعر، على سبيل المثال، قوله:

دَعِ الْحِرْصَ على الدُّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تَجمعْ مِنَ الْمالِ
فلا تَدْري لِمَنْ تجمعْ
فإنَّ الرِّزقَ مقسومٌ
وسوء الظَّنِّ لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذي حرصٍ
غنيٌّ كلُّ مَنْ يقنعْ(١)

* * *

(١) شعر الزهد ١٧٨ ـ ١٧٩. وينسب هذا الشعر لأبي نواس أيضاً. أنظر المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(ويحثو التّرب هذا ثم هذا)

ومن جيد قوله الزهدي، وبليغ معناه، ما قاله مخاطباً الرشيد:

وَهَبْ أنْ قدْ ملكْتَ الأرضَ طُرّاً
ودانَ لكَ البلادُ فكانَ ماذا
أليسَ غداً مصيرُكَ جوفَ تُرْبٍ
ويحثو التّرْبَ هذا ثمّ هذا[1]

* * *

(تقول لله ماذا حين تلقاه)

ومن أشعاره الزهدية قوله:

يا مَنْ تمتَّعَ بالدّنيا وزينتها
ولا تنامُ عنِ اللّذّاتِ عَيْناهُ
شغلْتَ نفسَكَ في ما لسْتَ تذكرُه
تقولُ لِلَّهِ ماذا حينَ تلقاهُ[2]

* * *

(١) نفسه ص ١٧٩. ودان: خضع وذلّ. ويحثو: يلقي ويهيل.
(٢) نفسه ص ١٧٩.

لـيسَ لِـلمـخـلوقِ تـدبـيـرُ

بـلِ الـلَّهُ الـمُـدَبِّـر[1]

* * *

(يا سوأتي فما اكتسبت)

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي، ما قاله وقد تصور نفسه مسجى على فراش الموت، تقلّبه الأيدي، ثم هو يغسل ويحنّط ويكفّن، ثم يحمل على سرير الموت، ثم يبعث يوم القيامة، وقد فرّط في حق الله أيّما تفريط. يقول النواسي نادماً ومناجياً نفسه، وهو من رائع الشعر السهل الممتنع:

يـا لَـيْتَ شِـعْـري كيـفَ أنتَ عـلى

ظَـهْـرِ الـسّـريـرِ وأنـتَ لا تَـدْري

يـا لـيـتَ شعـري كـيـفَ أنـتَ إذا

غُـسِّـلْتَ بـالـكـافـورِ والـسِّـدْر

يـا لِيـتَ شِعـري كـيـفَ أنـتَ إذا

وُضِـعَ الحسـابُ صبيحـةَ الْـحَشْـر

مـا حُـجّـتي فـي مـا أتـيـتُ ومـا

قـوْلـي لِـرَبّـي بـلْ ومـا عُـذْري

(١) ديوان أبي نواس. ص ٦٢٠. تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب العربي بيروت.

(يا نواسيّ تفكّر)

من أعجب العجب في شعر أبي نواس، الشاعر اللاهي والماجن، والفاتك، وزعيم الخمرة في الشعر العربي، أن نجد فيه نمطاً آخر يحاكي به كبار شعراء الزهد والموعظة والتوبة النصوح إلى الله. ونحن أمام هذه النماذج الرقيقة البالغة الروعة من زهديات أبي نواس، لا يسعنا إلّا أن نصدق توبته، فنذوب إعجاباً بهذا الشعر الزهدي البالغ الجودة، ومنه قوله مناجياً:

يا نواسيُّ تَفَكَّرْ
وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ

ساءَكَ الدّهرُ بِشيءٍ
ولِما سَرَّكَ أكثرْ

يا كبيرَ الذّنبِ عفوُ اللّهِ
مِنْ ذنبِكَ أكبر

أكبرُ الأشياءِ عَنْ
أصغرِ عفوِ اللّهِ أكبر

ليسَ لِلإنسانِ إلّا
مَا قَضى اللّهُ وَقَدَّر

يـا سَـوْأتـي ممّـا اكْـتسبْـتُ ويـا
أَسَفي على مـا فـاتَ مِن عمـري[1]

* * *

(كأنك لا تظنّ الموت حقاً)

ومن رائع زهديات أبي نواس، قوله المتضمن بديع الحكمة، ولطيف المعنى، ورفيع الأدب التوجيهي، والإرشاد الديني، وكأنما هو ليس أبا نواس الذي نعرف، زندقة ومجوناً وتهتكاً. يقول أبو نواس:

أخـي مـا بـالُ قلبِـكَ لـيسَ يَنْـقـى
كـأنَّـكَ لا تَـظُنُّ الـمـوتَ حَـقّـا
ألا يَـا ابْـنَ الـذيـنَ فَـنَـوْا وبـادُوا
أمـا والـلّهِ مـا بـادوا لِـتَـبْـقـى
ومـا لَـكَ فَـاعْـلمنْ فـيهـا مـقـامٌ
إذا اسْـتـكـمـلْتَ آجـالاً ورزقـا
ومـا لـكَ غـيـر مـا قـدّمْـتَ زادٌ
إذا جُـعِـلَتْ إلى الـلّهَـواتِ تَـرْقـى

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠. والسرير: النعش. والسدر: الحنوط يحنط به الميت. والحشر: يوم البعث.

وما أحدٌ بِزادِكَ منكَ أحظى
وما أحدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أَشْقى[١]

* * *

(يا سائل الله فزت بالظّفر)

وإن من هذا الشعر الزهدي الوجداني الرائع قوله، وهو يفيض حكمة وموعظة وإيماناً:

يا سائلَ اللَّهِ فُزْتَ بِالظَّفَرِ
وبِالنَّوالِ الْهَنِيِّ لا الْكَدِرِ
فَارْغَبْ إلى اللَّهِ لا إلى بشَرٍ
منتقلٍ في الْبِلى وفي الغِيَرَ
وَارْغبْ إلى اللَّهِ لا إلى جسدٍ
منتقلٍ مِنْ صِباً إلى كِبَرِ
إنّ الذي لا يُخيبُ سائلَهُ
جَوْهرُهُ غيرُ جوْهرِ البشرِ
مالكَ بالتُّرَّهاتِ مشتغلاً
أفي يَدَيْكَ الأمانُ مِنَ سَقَرِ[٢]

---

(١) شعر الزهد ص ٢٩٥. وبادوا: فنوا. واللهوات، جمع لهاة ، وهي في أعلى الحلق. وهنا إشارة إلى نزاع الروح ساعة الموت.

(٢) نفسه ص ٢٩٨. وسقر: النار. والترهات: سفاسف الأمور التافهة. والغير: الأحداث والخطوب. والظفر: الفوز.

(وأراني أموت عضواً فعضوا)

ومن زهديات أبي نواس، وفيها ذكر لأهوال الموت والاحتضار، متأسفاً على ما فات من عمره في معصية الله تعالى، قوله:

شَاعَ فِيَّ الفنـاءُ عُلْواً وسُفْلاً
وأراني أموتُ عضواً فعضوا
ذهبتْ جِدّتي بِطاعةِ نفسي
وتذكّرتُ طاعةَ اللَّهِ نِضْوا[1]

* * *

(وفي العيش فلا تطمع)

ومن رائع زهد أبي نواس قوله:

دَع الْحرصَ على الدّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ
فما تدري لِمَنْ تجمعْ
ولا تدري أفي أرضِكَ
أم في غيرِها تَصْرَعْ[2]

---

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧. والنضو: المهزول والمجهد.

(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٠٢. دار صعب. بيروت ١٩٦٩ م.

(للّه درُّ الشيب من واعظ)

ومن شعر أبي نواس الحكمي الزهدي قوله، وهو من بليغ القول وأعمقه:

أَيَّـةَ نـارٍ قَـدَحَ الْـقَـادِحُ
وأيَّ جِـدِّ بـلغَ الْـمـازحُ

لِـلَّهِ درُّ الـشَّـيْـبِ مِـن واعظٍ
ونـاصـحٍ لـو حـظيَ الـنَّـاصـح

يـأبى الْـفـتى إلاّ اتـبّـاعَ الـهـوى
ومـنـهـجُ الـحـقِّ لـهُ واضـح

فَـاسْـمُ بِـعَـيْـنَـيْـكَ إلى نـسـوةٍ
مـهـو رُهُـنَّ الْـعَـمـلُ الـصّـالـح

لا يـجتـلي الـعـذراءَ مِـن خِـدرِهـا
إلاّ امْـرؤٌ مـيـزانُـه راجـح

مَـنِ اتّـقـى الـلَّهَ فـذاكَ الـذي
سِـيقَ إلـيـه الـمـتجـرُ الـرّابـح[1]

* * *

(وبتقواه تمسّك)

ومن شعره الزهدي السهل الممتنع قوله:

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٥.

كُـنْ مَـعَ الـلَّهِ يَـكُـنْ لَـكْ
وَاتَّـقِ الـلّهَ لَـعَـلَّكْ
لا تـكُـنْ إلاّ مـعـدّاً
لِـلْمـنـايـا فـكـأنّـكْ
إنَّ لِـلمـوتِ لَـسَـهـمـاً
واقـعـاً دونَـكَ أوْبِـكْ
نـحـن نـجـري في أفـانـيـنِ
سُـكـونٍ وتَـحـرُّك
فَـعَـلى الـلَّهِ تـوكَّـلْ
وبِـتَـقْـواهُ تَـمَـسَّـك[1]

* * *

(لبّيك قد لبيت لك)

وما أرقّ هذه التلبية الشعرية الرقيقـة التي لا تقال إلاّ في موسم الحج ، ولا تصدر إلا عن نفس شفّها الحزن والندم على المعصية ؛ يقول أبو نواس، من شعر ينضح بالتوبة والغفران :

إلٰـهَـنـا مـا أَعْـدَلَـكْ
مـليـكَ كُـلِّ مَـنْ مَـلَكْ

(١) المصدر نفسه ٣/٤٨٥ .

لَبَّيْكَ قد لَبَّيْتُ لَكْ
لبّيكَ إنَّ الحمدَ لَكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ
ما خابَ عبدٌ أَمَّلَكْ
أنتَ له حيثُ سَلَكْ
لولاكَ يا ربِّ هلكْ
لبّيك إنّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لك
كلُّ نبيٍّ ومَلَكْ
وكلُّ مَنْ أهلَّ لك
وكلُّ عبدٍ سألك
سبَّحَ أو لبّى مَلَكْ
لبيكَ إنّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك
يا خاطئاً ما أغفلَكْ
إعْمَلْ وبادرْ أَجَلَكْ
وَاخْتُمْ بخيرٍ عَمَلَكْ
لبّيك إنَّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك

* * *

(سبحان علاّم الغيوب)

ومن أروع ما قاله أبو نواس في التوبة والزهد والانقطاع إلى الله والندامة على الذنب، قوله مناجياً النفس:

سبحانَ علاّمِ الغُيوبِ
عجباً لِتَصْريفِ الخطوبِ
تغدو على قطفِ النّفوسِ
وتجتني ثمرَ القلوبِ
يا نفسُ توبي قبلَ أنْ
لا تستطيعي أنْ تتوبي
وَاسْتغفري لِذنوبِكِ
الرّحمٰنَ غفّارَ الذُّنوب
إنَّ الحوادثَ كالرّياحِ
عليكِ دائمةُ الهبوب
والموتُ شرعٌ واحدٌ
والخَلْقُ مختلفو الضُّروب
والسَّعْيُ في طلبِ التُّقى
مِن خيرِ مكسبةِ الكَسوب
ولقلّما ينجو الفتى
بتقاهُ مِن لطخِ العيوبِ[1]

(١) الديوان ص ١٠٠.

(واشكر لمولاك على نعمته)

ومن الأدب الوعظي، ذي النفحة الإيمانية الزهدية، ما ينسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع). يقول علي مزهداً بالدنيا، محذراً من زخرفها، حاثاً على التمسك بالخير والصبر، والتعلق بأهداب الفضيلة والتقوى:

لا تحرصَنْ فالحرصُ يُزْري بالفتى
ويُذْهِبُ الرَّوْنقَ عن بهجتِه

والحظ لا تجلُبُهُ حِيلةٌ
كيفَ يخافُ المرءُ مِن فَقْرتِه

ما فاتكَ اليومَ سيأتي غداً
ما في الذي قُدِّرَ مِن حيلتِه

والرِّزقُ مضمونٌ على واحدٍ
مفاتحُ الأشياءِ في قَبْضتِه

قد يُرزقُ العاجزُ مَعْ عجزِهِ
ويُحرمُ الكَيِّسُ معْ فِطْنتِه

لا تنهرِ المسكينَ يوماً أتى
فقد نهاكَ اللَّهُ عن نهرتِه

إنْ عضَّــكَ الــدّهــرُ فكـنْ صــابــراً
على الــذي فــاتــكَ من عضــتــه
أوْ مـسَّــكَ الـضّــرُّ فـلا تـشـتـكـي
إلّا لِـمَـنْ تـطـمـعُ فـي رحـمـتِـه
وَاقْـنـعْ بـمـا أعـطاكَ مِـن فـضـلِهِ
واشْـكـرْ لِمـولاكَ عـلى نعـمتِـه[1]

* * *

صوت

(وإنّ امرءاً)

ومما حدث به الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: بينا أنا أدور في بعض البراري، إذا أنا بصوت يقول: . . . ولما سأل عن الصوت أصوت إنسي أم جنّي؟ لم يجبه، فنقش الشعر على خاتمه. والصوت الذي سمعه هو التالي:

وَإِنَّ امْــرَأً دُنْـيــاهُ أَكــثــرُ هــمِّــهِ
لَمُسْتَمْسِــكٌ مِنْهَــا بِحَبْــلِ غُــرورِ[2]

(١) جواهر الأدب. ص ٤٣٢. والمولى: السيد. ومسّك: أصابك. وعضك الدهر: أزرى بك وأساءك. وتنهر: تزجر. والكيّس: العاقل الذكي. والفقرة، واحدة الفقر، مصدر النوع. أو المرة. والرونق: ماء الشباب ونضارته.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(لا فخر إلاّ فخر أهل التّقى)

من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بأبي العتاهية، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد، وذكر الموت، والبعث والوعد والوعيد. ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجباً، ومنبهاً، ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلالة، وأقربه تناولاً:

يا عجباً لِلنّاسِ لو فكّروا
وحاسبوا أنْفُسَهُمْ أبصروا

وعبروا الدُّنْيا إلى غيرِها
فإنّها الدُّنْيا لهمْ مَعْبَر

الخيرُ مِمّا ليسَ يَخْفى هو
المعروفُ والشّرُّ هو المُنْكَر

والموعدُ الموتُ وما بعدَهُ
الْحشرُ فذاكَ الموعِدُ الأكبر

لا فخرَ إلاّ فخرُ أهلِ التُّقى
غداً إذا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَر

لَيَعْلَمَنَّ النّاسُ أنَّ التُّقى
والبرَّ كانا خيرَ ما يُذْخر

عجبتُ لِلإنسانِ في فخرِه
وهْو غداً في قبرِه يُقْبَر

ما بالُ مَن أوَّلُه نُطْفَةٌ
وجيفةٌ آخرهُ يَفْخَر

أصبحَ لا يملِكُ تقديمَ ما
يرجو ولا تأخيرَ ما يحذر

وأصبحَ الأمرُ إلى غيرِهِ
في كلِّ ما يقضى وما يُقْدَر[1]

* * *

(يدعوك ربك عنده فتجيب)

ويعجب أبو العتاهية للذين يشغلون بإحصاء العيوب على الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة هو آتٍ. يقول أبو العتاهية:

يا مَنْ يَعيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبُ
كَمْ فيكَ مِنْ عيبٍ وأنتَ تَعيبُ

---

(١) الكامل في اللغة ١/٢٣٩. ويؤخر: يحفظ ذخراً. وانظر: الديوان ١٥١ - ١٥٢.

لِـلَّهِ دِرُّكَ كـيـفَ أنـتَ وغـايـةٌ
يَـدْعـوكَ ربُّـكَ عنـدَهُ فتُجيـبُ[1]

* * *

(كلنا يكثر الملامة)

ومن بديع قوله في وصف الدنيا:

كُـلُّنـا يُكْـثِـرُ المـلامـةَ لِلدُّنيـا
وكـلٌّ يـحِـبِّـهـا مـفـتـونُ
والمقـاديـرُ لا تنـاولُهـا الأوهـامُ
لُـطُفـاً ولا تـراهـا الـعـيـونُ
ويـمـرُّ الفـتـى وفـي كـلِّ يـومٍ
حـركـاتٌ كـأنّـهـنَّ سـكـونُ[2]

* * *

(والفقر عين الفقر في الأموال)

ومن جيد الشعر الزهدي، وأرقه، لأبي العتاهية، قوله مخاطباً الدنيا، داعياً إلى الأخذ بالبساطة، والرضا بالقناعة والكفاف:

---

(١) نفسه ١/٢٣٨.

(٢) العقد الفريد ١/٣١٢.

مـا أنـتِ يـا دُنيـا بِـدارِ إقـامـةٍ
مـا زلْـتِ يـا دنيـا كَـفَـيْءِ ظِـلالِ
غـرسَ التَخَلُّصُ منكِ بينَ جـوانحي
شجـرَ القنـاعـةِ والقنـاعـةُ مـالي
لمّـا حصلْتُ على القنـاعـةِ لم أزلْ
مـلِكـاً يـرى الإكـثـارَ كـالإقـلال
لمّـا حصلْتُ على القنـاعـةِ لم أزلْ
والـفقـرُ عـين الـفقـر فـي الأمـوال
مـا اعْتاضَ باذلُ وجهـهِ ولـسـانِـه
عِـوَضـاً ولـو نـالَ الغِنى بِسـؤال[1]

* * *

(حتى متى يستفزني الطمع)

وقريب من المعنى السابق قوله أيضاً:

حَـتّى مَـتـى يَـسْـتـفِـزُّنـي الـطَّمَـعُ
ألـيْسَ لـي بـالـكـفـافِ مُـتَّسَـعُ
مـا أفـضـلَ الـصَّبْـرَ والـقـنـاعـةَ
للنّـاسِ جميعـاً لـو أنَّهم قـنِعـوا

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣١١. دار صادر ـ دار بيروت، ١٩٦٥ م.

وأخدعَ اللَّيلِ والنَّهارِ لأقوامٍ
أراهم في الغيِّ قد رقعوا
لِلَّهِ درُّ الدُّنيا فقدْ لعبتْ
قبلي بقومٍ فما ترى صنعوا
وكان ما قدَّموا لأنفسِهِمْ
أعظمَ نفعاً مِنَ الَّذي ودعوا[1]

* * *

(وعلى نفسه بغى كل باغ)

وقريب منه كذلك، قوله:

أيُّ عَيْشٍ يكونُ أبلغَ مِنْ عيشٍ
كفافٍ قوتٍ بقدرْ الْبَلاغِ
صاحبُ البَغْي ليسَ يسلمُ مِنْهُ
وعلى نفسِهِ بَغى كلُّ باغِ
رُبَّ ذي نعمةٍ تعرّضَ منها
حائلٌ بيننَه وبينَ المساغِ
أبلغَ الدّهرُ في مواعظِهِ بل
زاد فيهنَّ لي على الإبلاغ

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

غـيَّبـتْـنــي الأيّــامُ عــقــلي ومــالـي
وشـبــابـي وصِـحَّـتــي وفــراغـي[1]

* * *

(وابتغينا من المعاش فضولاً)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قولـه داعياً إلى القنـاعة والرضى بالقليل:

وَابْـتَغَـيْنَـا مِـنَ الْـمَـعَـاشِ فُـضـولاً
لـوْ قـنِعْـنـا بِـدونِـهـا لاَكْـتَـفَـيْـنَـا
ولَعَمْـري لنَمْضِيَنَّ وَلاَ نَمْضِي بشيءٍ
مِـنْـهـا إذا مـا مَـضَـيْـنـا
عَـجَبـاً لِامْـرِيءٍ تيقَّـنَ أنَّ المـوتَ
حـقٌّ فَـقَـرَّ بـالْـعيشِ عَـيْـنَـا[2]

* * *

(قد أورثت حزناً طويلاً)

ودعـوة أبي العتاهيـة إلى القناعـة، والاكتفـاء من الـدنيـا بالقليل، تستدعي منه ذمّ الحرص والجشع والطمع والبخل، والإقبال على الدنيا، والاستسلام للشهوات، وغير ذلـك من

(١) الأغاني ٣/١٤٥.
(٢) الديوان ص ٢٣١.

الصفات المذمومة التي تطيع محبّ الدنيا بطابعها المميز، ومن هذا الشعر المتضمن لما ذهبنا إليه، قوله:

الـحـرصُ داءٌ قـد أضـرَّ
بِـمَـنْ تَـرى إلاّ قـليـلاً
كـم مِـنْ عـزيـزٍ قـد رأيْـتَ
الـحـرصَ صـيَّـرَهُ ذلـيـلا
فَـتَـجـنَّـبِ الـشّـهـواتِ وَاحْـذرْ
أنْ تـكـونَ لـهـا فـتـيـلا
فَـلَرُبَّ شـهـوةِ سـاعـةٍ
قـدْ أورثَـتْ حُـزْنـاً طـويـلا[1]

* * *

(خليليّ ما أكفى اليسير)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله:

طلبْتُ الغِنى في كـلِّ وَجْهٍ فلم أجِـدْ
سبيـلَ الـغِنـى إلاّ سبيـلَ التـعفُّـفِ
خليليَّ مـا أكفى اليسيـرُ مِنَ الّـذي
نحـاولُ إنْ كُنّا بمـا كَفى نَكْتَفي[2]

---

(١) نفسه ص ١٨٩.

(٢) الديوان ص ٢٤٠.

(وأنت الدهر لا ترضى بحال)

وقوله الآخر:

مـتى تُـمْسـي وتصـبـحُ مسـتـريحـاً
وأنـتَ الـدّهـرَ لا تَـرْضى بـحـالِ
وقـد يجري قليـلُ المالِ مجـرى
كـثيـرِ الـمـالِ فـي سـدِّ الـخِـلال
إذا كـانَ الـقـليـلُ يـسـدُّ فقـري
ولـم أجـدِ الْكـثيـرَ فـلا أُبـالـي[1]

* * *

(يا خاطب الدنيا)

ومن رائق شعر أبي العتاهيـة الزهـدي قولـه يصف الدنيـا وغرورها:

يـا خـاطـبَ الـدّنيـا إلى نفسهـا
تَـنَـحَّ عـنْ خـطـبـتِـهـا تَـسْـلَمِ
إنَّ الـتـي تـخـطـبُ غـرّارةٌ
سـريعـةُ العـرسِ مِنَ الْمـأْتـمِ[2]

* * *

(١) نفسه ٣٢٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٦.

(سبحان ذي الملكوت)

ومنه أيضاً، قولـه مستفظعاً هول الموقف وفراق الحياة:

سبحانَ ذي الملكوتِ أيّةُ ليلةٍ
مخضتْ بوجهِ صباحِ يومِ الموقفِ
لو أنَّ عيناً وهمّتْها نفيُها
ما في الفراقِ مُصَوَّراً لم تطرِف[1]

* * *

(ليس زاداً سوى التّقى)

ومن أسهل زهدياته وأبلغها دلالة، قوله:

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعي
وَاسْمعي ثمّ عِي وعي
عشْتُ تسعينَ حجّةً
ثم وافيتُ مضجعي
أنا رَهْنٌ لِمَصْرَعي
فَاحْذري مثل مَصرعي
ليسَ زاداً سِوى التّقى
فَخُذي مِنْهُ أوْدعي[2]

(١) نفسه ٣/٤٧٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٨. وعي: الأمر من وعي، للمؤنث.

(آخر هذا كلّه الموت)

ومن النسق عينه، قوله:

إِسْمَعْ فقد أَسْمَعَك الصَّوْتُ
إنْ لم تُبادرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
نَلْ كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ سالماً
آخرُ هذا كلِّهِ الموتُ

* * *

(والتفّت الساق منه بالساق)

ومن شعره الزهدي ويبدو أثر القرآن الكريم فيه، قوله:

لَوْ أنَّ عَبْداً لَهُ خزائِنُ ما في
الأرضِ ما عاشَ خَوْفَ إملاقِ
يا عَجَباً كُلُّنا يحيدُ عنِ
الحيْنِ وكلٌّ لِحينهِ لاقِ
كأنَّ حيًّا قدْ قامَ نادِبُه
والْتَفَّتِ السّاقُ منهُ بِالسّاقِ
واستلَّ منه حياتَه مَلَكُ الْموتِ
خفيّاً وقيلَ مَن راقِ

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٧٨.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٩. والإملاق: الفقر. والحين: المصير. والراق: اسم الفاعل من رقاه، إذا شفاه بالرّقي.

(وما الموت إلا رحلة)

ومن أروع ما قال في الموت:

وما الموتُ إلاّ رحلةٌ غيرَ أنّه

مِنَ الْمنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي(١)

* * *

(ونلعب والدهر لا يلعب)

ومن رائع الشعر الزهدي قول أبي العتاهية:

أَنَلْهو وأيّامُنا تَذْهَبُ

ونلعبُ والدّهرُ لا يلعبُ

أيلهو ويلعبُ مَنْ نفسُه

تموتُ ومَنْ بيتُه يخرب

تَرى صُوَرَ اللّهوِ مسموحةً

ولكنْ لها رونقٌ مُذْهَب

سيصدُقُ مَن ماتَ في هجْرِهِ

وقد كانَ في وصلهِ يكذبُ(٢)

* * *

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ص ١٦١. دار صعب. بيروت.

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٧. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م
والرونق: الصفاء والحسن والجمال.

(فعاش المريض ومات الطبيب)

ومن رائع زهده قوله:

نعى عنــدَ ظــلٍّ الشّبــابِ المشيــبُ
ونــادتْـكَ بِــاسْـمٍ ســواكَ الخــطوبُ
فـكُنْ مـستـعـدّاً لِــداعي الـمـنـونِ
فــكــلُّ الــذي هــو آتٍ قــريــبُ
وقـبـلَكَ داوى الـطّبـيـبُ الـمـريضَ
فعــاشَ المريضُ ومــاتَ الـطبيبُ[1]

* * *

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن جيد شعره الزهدي قوله:

إنّــمــا الــدُّنــيــا مــتــاعُ زائــلُ
فَــاقْـتَـصِـدْ فيــه وَخُـذْ منـهُ وَدَعْ
عــجـبٌ لِــلدّهــرِ كــمْ مِــن أُمَــمٍ
قــد أبــادَ الــدهــرُ والــدهــرُ جَــذَعْ
يــا أخَــا الْـمَـيْـتِ الــذي شيّــعـه
فــحــشــا الــتّــربَ عــلـيــهِ ورَجَــعْ

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

لـيـتَ شـعـري مـا تـزوّدت مِـنَ
الـزَّادِ فيـا هـذا لِيـومِ المـطَّلَعْ[1]

* * *

(ورحى المنية تطحن)

وما أبلغ هذا البيت، على سهولته، يقول أبو العتاهية:

الـنـاسُ فـي غَـفَـلاتِـهـمْ
وَرَحـى الـمـنـيَّـةِ تـطحـنُ[2]

* * *

محمود الوراق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن شعراء بني العباس الذين زهدوا في الحياة، ثم نسكوا وتابوا إلى ربهم من بعد شقوة وفساد ولهو، محمود بن حسن الوراق الذي وجد في الانقطاع إلى الله وعبادته، وفي القناعة بما قسم له من الرزق، سعادة ما بعدها سعادة. يقول الوراق مؤكداً على مبدأ القناعة والرضى بقسم الله:

مَـنْ كـانَ ذا مـالٍ كـثـيـرٍ وَلَـمْ
يَـقْنَـعْ فـذاكَ الـمـوسـرُ المـعسِـرُ

(١) محلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٩. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م.
(٢) العقد الفريد ١/٣٣١.

وكلُّ مَنْ كان قنوعاً وإنْ
كانَ مُقِلاًّ فَهْوَ المكثر
الفقرُ في النّفسِ وفيها الغِنى
وفي غِنىَ النفسِ الغِنى الأكبرُ(١)

* * *

(هي الدنيا)

ويعجب الوراق للذين يؤملون الخير والفلاح في الحياة الدنيا، فتراهم منصرفين إليها، يعملون لها بما أوتوا وهم عن الآخرة غافلون، فيقول محذراً:

هِيَ الدُّنْيَا فَلا يَغْرُرْكَ مِنْها
مخايِلُ تستفِزُّ ذوي الْعقولِ
أقلُّ قليلِها يَكْفيكَ مِنها
ولكنْ ليس تَصنعُ بالقليلِ
تشيدُ بها وتبني كلَّ يومٍ
وأنتَ على التّجهُّزِ والرّحيلِ
وَمَنْ هذا الذي يُبقي عليها
مضارِبَهُ بِمُدْرجَةِ السّهولِ(٢)

(١) العقد الفريد ٢/٢٠٧.

(٢) شعر الزهد ص ٢٣٦. والمخايل: الظنون والدلائل، جمع مخيلة، وتستفز: تثير. ومضاربه: منازله، ومكان ضربه وإقامته ورحيله.

(كأنها لا ترى ما يصنع القدر)

وينظر الوراق بعين البصيرة إلى ما تفعله الأيام بالناس، وما تتصرف به الأقدار فيخلص إلى القول الحكمي الزهدي:

لا ينفعُ الجِدُّ والتَّشميرُ والحذرُ
خُطَّ الكتابُ فلا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
تستعجلُ النّفسُ آمالاً لتبلغها
كأنَّها لا ترى ما يصنعُ القدر[1]

* * *

(كذاك انتقال الدول)

حتى إذا ما أيقن الوراق بدنو الأجل، وفوت الأوان، وما تحدثه الأيام بصروفها قال باكياً:

بكَيْتُ لِقُرْبِ الأَجَلْ
وبعد فواتِ الأَمَلْ
وواقدِ شيبٍ طَرا
بعِقبِ شبابٍ رحل
شبابٌ كأنْ لم يكنْ
وشَيبٌ كأنْ لم يزل

(١) شعر الزهد، ص ٢٣٩ . والتشمير: النهوض والتهيؤ.

طـواكَ بـشـيـرُ الـبـقـا

وجـاء نـذيـرُ الأجـل

طـوى صـاحـبٌ صـاحـبـاً

كـذاكَ انْـتـقـالُ الـدُّوَل[1]

* * *

(يا ناظراً)

ومن رقيق شعر الوراق في الزهد، قوله محذراً من هول الذنب:

يـا نـاظـراً يـرنـو بِعـينَـيْ راقـدِ

ومشـاهـداً لِـلأمـرِ غيـرَ مشـاهِـدَ

منّيْتَ نفسَـكَ ضِلّةً وأبحْتهـا

طـرقَ الرّجـاءِ وهنَّ غيرُ قـواصـد

تصـلُ الذّنوبَ إلى الذنـوبِ وترتجي

درْكَ الجنـانِ بهـا وفـوزَ العـابـد

ونـسـيـتَ أنَّ الـلَّهَ أخـرجَ آدمـاً

منهـا إلى الدنيـا بـذنبٍ واحـدِ[2]

---

(١) عيون الأخبار ٢/٣٢٦.

(٢) الكامل ١/٢٣٥. ويرنو: ينظر. وضلة: توهماً. والدرك: الإدراك والوصول.

(أليس عجيباً)

ومن جيد شعره، وهو في غاية السهولة، قوله:

أَلَـيْسَ عـجـبـاً بـأَنَّ الْـفـتـى
يُصـابُ بِبعضِ الّـذي في يـديْـهِ
فَـمِـنْ بـيْـنِ بـاكٍ لـهُ مـوجـعٍ
وبـيـنَ مُـعَـزٍّ مُـغِـذٍّ إلـيـه
ويـسلبُـه الـشَّيْبُ شـرْخَ الـشبـابِ
فـليسَ يُـعـزِّيـهِ خـلقٌ عـليـه[1]

* * *

الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)

(فلست أول مجنون بمرزوق)

من الفقهاء الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومن أجدر بهذه الدعوة من الفقهاء، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه، فهو يزري على أصحـاب المال جمعهم للمال في ما هم يقضون العمر، سـادرين عن تقـوى الله، مشغـولين بجمعـه وتحصيله، وفي الغالب فإن أصحابه من الجهلة ممن لا نصيب لهم من العقل

(١) البيان والتبيين ٣/٤٨٤.

أو العلم أو الخلق القويم. يقول الشافعي، وشعره يتميز بالسهولة والوضوح.

لو كنتَ بالعقلِ تُعطى ما تريدُ بهِ
لما ظفرْتَ مِنَ الدُّنيا بِمسروقِ
رُزقْتَ مالاً على جهلٍ فعشْتَ به
فلستَ أوّلَ مجنونٍ بِمرزوقِ[1]

* * *

(ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقول ثانية، في المعنى نفسه تقريباً:

يُريدُ المرءُ أنْ يُعطى مُناهُ
ويأبى اللَّهُ إلاّ ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي
وَتَقْوى اللَّهِ أفضلُ ما اسْتفادا[2]

* * *

(ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً)

ويقول ثالثة:

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. تحقيق زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت ١٩٦١ م.

(٢) حلية الأولياء ١٥١/٩. للأصفهاني. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.

وأنطقتِ الدّراهمُ بعدَ صمْتٍ
أُناساً بعد ما كانوا سُكوتا
فما عطفوا على أحدٍ بِفضلٍ
ولا عرفوا لِمكرمُةٍ ثبوتا[1]

* * *

(قنعت بالقوت من زماني)

ومن الشعر الدال على قناعة الشفاعي وزهده في الحياة الدنيا قوله:

قنعْتُ بالقوتِ مِن زماني
وصنْتُ نفسي عن الهوانِ
خوفاً منَ الناسِ أنْ يقولوا
فضلُ فلانٍ على فلانِ
مَنْ كنْتُ عن مالِه غنيّاً
فلا أُبالي إذا جفاني[2]

* * *

(كم ضاحك)

ومن جيد شعر الشافعي، قوله محذراً من يجعل همّه جمع

---

(١) المصدر نفسه ٩/١٤١.

(٢) الديوان ص ١٦٢.

المال، والانشغال بأمور الدنيا، دون التفكير بالآخرة، وبالموت الذي يحيط بنا جميعاً. يقول الشافعي:

كَمْ ضاحكٍ والْمنايا فوقَ هامتهِ
لو كانَ يعلمُ غيباً ماتَ مِن كَمَدِ
مَنْ كانَ لم يُؤْتَ عِلماً في بقاءِ غدٍ
ماذا تفكُّرُهُ في رِزْقِ بعد غدِ[1]

* * *

(وقد قسم الرحمن رزق الخلائق)

والذي عزّز روح الزهد في نفس الشافعي، هو ثقته الكاملة بالله تعالى ذكره، فهو الرازق، والمقدّر، والمفضل. يقول:

توكّلْتُ في رزقي على اللّهِ خالِقي
وأيقنْتُ أنَّ اللَّهَ لا شكَّ رازقي
وما يكُ مِن رزقٍ فليسَ يفوتُني
ولو كانَ في قاعِ البحارِ العوامق
ففي أيِّ شيءٍ تذهبُ النفسُ حَسْرةً
وقد قسّمَ الرّحمنُ رِزقَ الخلائِق[2]

* * *

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. والهامة: الرأس. والكمد: الغم.

(٢) نفسه ١٣٨.

(وما كل نفس به راضية)

ومن الشعر الزهدي الذي يعتمد صاحبه فيه على التوكل، والرضى بما يرزق الخالق، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، ما قاله منصور بن إسماعيل التميمي، وكان من فقهاء الشافعية بمصر. يقول منصور:

إذا قــال لــي قــائــلٌ كيــفَ أنــتَ
أقــولُ لــهُ أنــا فــي عــافِـيَـةْ
لِأشيــاءَ منهــا الــرِّضــا بــالكفــافِ
ومــا كــلُّ نــفسٍ بــهِ راضــيَــةْ[1]

* * *

(ألا إن رزق الله ليس يفوت)

وهو، أي منصور التميمي، يؤكـد على ثقته الكبيـرة بالله تعالى، وعلى أنه هو المكفل بالأرزاق، فلا ييـأسنّ أحد من رحمته تعالى، ولا يستـأثرن بمـال يزيـد عن حاجتـه. يقول منصور:

ألا إنَّ رزقَ الــلَّهِ لــيسَ يــفــوتُ
فــلا تــرعَــنْ إنَّ الــقــليــلَ يــفــوتُ

(١) بهجة المجالس، للقرطبي ٢/ ٣٠٤. دار الكتاب العربي. بيروت.

رضيتُ بقسْمِ اللَّهِ حظّاً لأنّه
تكفَّلَ رزقي مَن له الْمَلَكُوتُ
سأقنعُ بالمالِ القَليلِ لأنّني
رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يموتُ(١)

* * *

(إني قنعت بقوت)

ومن أصدق الشعر المعبر عن حالة الزهد، لدى منصور التسيمي، هذا الشعر السهل الذي يصور حال صاحبه أفضل تصوير.

إنـي قنعْتُ بِقوتٍ
ولُبسِ ثَوْبٍ مُرَقَّعْ
ولم يكنْ لي عيالٌ
نفسي لهمْ تتفجَّعْ
ولا بنونَ صِغارٌ
قلبي لهم يتقطَّع
ولا صديق مُصافٍ
فراقَه أتوقَّعْ

---

(١) نفسه ٢/٣٠٤. والملكوت: الملك الواسع.

وقـد عـزفْـتُ عـنِ
الـلَّهْـوِ والـغِـنى والـتَّـمـتُّـع[1]

* * *

(والوزر على مكتسبيه)

ويؤكد منصور التميمي المعنى نفسه فيقول، وهو من أسهل الكلام، وأبسط العبارة:

مَنْ كَفاهُ مِن مساعيهِ رغيفٌ يَغْتَذيـهِ
ولـهُ بيتٌ يُـواريـهِ وثـوبٌ يكتسيــهِ
فلما ذا يبذلُ العِرْضَ لِنَذْلٍ أو سفيهِ
كلُّ مالٍ منعتْهُ السّيرَ أيـدي باذليـهِ
فَهْوَ لِلوارثِ والوِزْرُ على مكتسبيهِ[2]

* * *

(فأمرك عندي عجيب عجيب)

ومن أعجب العجب في نـظر منصور التميمي، أن يـرى الإنسان أن الموت آتٍ لا بد منه، وأن الذي يذهب لا يعود، ومع ذلك فإن هذا الإنسان سادر في لهوه وغيّه. يقول منصور:

---

(١) بهجة المجالس ٢/٢١١، وعزفت: ملت وانصرفت.
(٢) المصدر نفسه ٢/٣١٤.

إذا كُنْتَ تزعمُ أنَّ الفراقَ
فراقَ الحياةِ قريبٌ قريبُ
وأنَّ المقدَّمَ ما لا يفوتُ
على ما يفوتُ مصيبٌ مصيبُ
وأنتَ على ذاكَ لا تَرْعوي
فأمرُكَ عِندي عجيبٌ عجيبُ[1]

* * *

أحمد بن يوسف (ت ٢١٣ هـ)

(ما هذه الدنيا بدار إقامة)

ومن الذين دعوا إلى ترك متاع الدنيا، والتزود بالعمل الصالح، والعمل للآخرة، أحمد بن يوسف بن صبيح، وكان مولى لبني عجيل، في العصر العباسي الأول؛ ومن شعره الزهدي المتضمن لهذه المعاني قوله:

ما بعدَ شيبِكَ غيرُ لومِكَ فاتَّخِذْ
زاداً لِنَفْسِكَ فالرَّحيلُ قريبُ
ما هذِه الدنيا بِدارِ إقامةٍ
لا توطننَّ بها وأنتَ غريب

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٣٠٤.

أيـنَ الأُولى أهــل الـسيــادةِ والـنُّهـى

والـمــطعـمــونَ ومــا تــدرُّ حَــلوب

أخـنى الــزمــانُ عـليهـمُ بـشعـارِه

وسـقتْـهُمُ كــأسَ الـمنــونِ شَعــوبُ

وغــداً جــزاءُ ســعــادةٍ أو شــقْــوةٍ

أفــلا يُـنيبُ إلـى الــرَّشــادِ مُـنيـب

والمــوتُ يغتــالُ النفــوسَ ولم يــزلْ

لِـلمــوتِ داعٍ لـلنفــوس طَـلوب[1]

* * *

الخزيمي

(لكل أناس من طوارقها الثكل)

ومن أروع شعـر الزهـد الداعي إلى نبـذ الدنيـا والعمـل للآخرة، ما قالـه أبو يعقـوب إسحاق بن حسـان، مولى بني خريم، زمن العباسيين في العصر الأول؛ يقول الخزيمي:

تَــزَوَّدْ مِنَ الــدُّنْيَــا متــاعاً لِغيــرِهــا

فقــدْ شَمَّــرَتْ حَــذَّاءَ وَانْصـرمَ الْحَبْــلُ

(١) أخبار الشعراء، للصولي ص ١٦٩. وشعوب: اسم للمنية. وينيب: يميل ويثوب.

وهـل أنتَ إلاّ هـامــةُ اليـومِ أو غــدٍ
لكـلِّ أناسٍ مِن طـوارقِهـا الثّكـلُ(٢)

* * *

(ولكن لهذا الرزق وقت موقت)

ويقول من شعر آخر يدخل في باب الزهد عن طريق التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه في الرزق المقدر:

ولـكنْ لِـهــذا الــرّزقِ وقتُ مــوقّــتٌ
يُـقَـسّـمُــهُ بـيــنَ الْـبَـرِيَّــةِ واهــبُــهْ
فليسَ بِعجـزِ المـرْءِ أخــطأه الـغنـى
ولا بـاحتيـالٍ أدركَ المـالَ كـاسبُـهْ(٣)

* * *

أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م)

(وأنت غداً فيها تموت وتقبر)

ومن أروع الشعر الحكمي والزهدي معاً، ما قاله أبو تمام، واسمه حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي النابه الذكر؛

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٨٥٧/٢. وشمرت: نهضت. وحذّاء: صارمة وقاطعة. وانصرم: انقطع. والهامة: طائر: أسطوري يخرج من رأس القتيل مطالباً بالثأر.

(٢) بهجة المجالس ١٤٥/١. والبرية: الخلق.

وقد غلب عليه التفكير بالحياة والموت، فخلص إلى أن العمر قصير جداً، وأن الدهر يكيد للإنسان، فلا مندوحة من العمل الصالح، فلا يستحق العمل من أجله والسعي للآخرة قبل فوات الأوان. يقول أبو تمام، وشعره من أجود الشعر، وأفصحه، وأروعه:

أَلِلْعُمْرِ في الدُّنيا تَجِدُّ وتعمرُ
وأنتَ غداً فيها تموتُ وتُقْبرُ

تلقّحُ آمالاً وترجو نِتاجَها
وعمُركَ مِمّا قد تُرَجّيهِ أَقْصَرُ

وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوؤُه
وليلتُه تنعاك إنْ كنتَ تشعر

تحومُ على إدراكِ ما قد كُفِيتَهُ
وتقبلُ بالآمالِ فيه وتُدبِر

ورزقُكَ لا يعدوك إمّا مُعَجَّلٌ
على حالِه يوماً وإمّا مؤخّر

فلا تأمنِ الدّنيا إذا هيَ أقبلتْ
عليكَ فما زالتْ تخونُ وتدبر

وشمِّرْ فقد أبدى لكَ الموتُ وجهَهُ
وليسَ يَنالُ الفوزَ إلاّ المشمّر

تـذكَّـرْ وفكِّـرْ في الـذى أنتَ صـائـرٌ
إلـيـهِ غـداً إنْ كـنـتَ مِـمَّـنْ يفـكـر
فـلا بـدَّ يـومـاً أنْ تصيـرَ لِحُفْـرَةٍ
بـأثنـائهـا تُطوى إلى يـومٍ ينشـرُ
تـطهَّـرْ وألْحِقْ ذنبَـكَ اليـومَ تـوبـةً
لـعلّكَ مـنـه إنْ تـطهَّـرْتَ تـطهـر
فهـذي اللّيـالي مُـؤْذِنـاتُـك بـالْبِلى
تـروحُ وأيّـامٌ كـذاكَ تـبـكّـر
وأخـلِصْ لِـدينِ اللّهِ صـدراً ونـيّـةً
فـإنّ الـذي تُخفيـهِ يـومـاً سيـظهـر
وقـد يستـرُ الإنسـانُ بـاللّفظِ فـعلَه
فيـظهـرُ عنه الـطّرفُ مـا كـانَ يستـر
تـأمَّـلْ وفكِّـرْ في الـذي أنتَ صـائـرٌ
إليـه غـداً إنْ كنتَ مِمَّـنْ يفـكّـر[1]

* * *

(وأبقى صريعاً بين أهلي جنازةً)

ومن أروع شعر الزهد، وأجوده، وأفصحه عبارة، ما قاله أبو

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٤. وشمّـر: انهض وتهيأ. وانـظر أيضاً: معـادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

تمام، وقد تصور نفسه ينازع سكرات الموت، ثم ميتاً مسكنه اللحد، حيث الوحشة وطول الثواء. يقول أبو تمام تـائباً من ذنبه، نادماً على ما سوّف من عمله:

أَلَـمْ يَـأْنِ تـركي لا علـيَّ ولا لِيـا
وعـزمي على مـا فيـهِ إصـلاحُ حـالِيـا

وقـد نـالَ منّي الشّيْبُ وابيضَّ مفـرِقي
وغـالتْ سـوادي شُهْبُـهُ في قـذالِيـا

أصـوّت بـالـدّنيـا وليستْ تُجيبُني
أحـاولُ أنْ أبـقى وكـيـفَ بـقـائيـا

وأبقى صـريعـاً بيـنَ أهلي جِنـازةً
ويحـوي ذَوُو الميـراثِ خـالصَ مـاليـا

أقـولُ لِنفسي حينَ مـالتْ بِصفـوِهـا
إلـى خـطراتٍ قـد نتـجْنَ أمـانيـا

هبيني مِنَ الـدُّنيـا ظفـرْتُ بِكـلِّ مـا
تـمنّيتُ أو أُعـطيتُ فـوقَ أمـانيـا

أليسَ الليـالي غـاصبـاتي بِمهجتي
كمـا غصبتْ قبلي القـرون الخـواليـا

ومُسْكِنَتي لحـداً لـدى حفـرةٍ بهـا
يـطولُ إلى أخـرى الليـالي ثـوائيـا

أخـــافُ إلا هــي ثــمَّ أرجــو نــوالَــهُ
ولـكنَّ خـوفـي قــاهــرٌ لِـرَجــائيــا
على إثْـرِ مـا قــد كـانَ منّي صبـابـةً
لـيــاليَ فـيهـا كـنتُ لِـلَّهِ عــاصيــا
فــإنّـي جـديـرٌ أنْ أخــافَ وأتّـقــي
وإنْ كنتُ لم أُشركْ بِذي العرش ثانيـا
وأدّخــر التقــوى بمجـهــودِ طــاقتي
وأركب في رُشْـدي خِلافَ هـوائيـا[1]

* * *

ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م)

(تتجافى جنوبهم)

ومن جيد شعر الزهد، ما قاله أبو الحسن علي بن العباس، الشاعر العباسي، والمعروف بابن الرومي. وشعره يتميز بالسهولة وغلبة نزعة المنطق عليه، وهذا ما نلاحظه في أبياته الزهدية التالية التي يصور بها حالات العابدين الزاهدين:

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٦. شرح التبريزي. دار المعارف ١٩٦٥ م. ويأن: يحن. وغالت: صرعت. وشهبه، كناية عن الشيب، والقذال: ما بين الرأس وأصل العنق. واللحد: جانب القبر. والصبابة: الهوى والميل.

تتجافى جُنوبُهُمْ
عنْ وطيءِ الْمضاجعِ
كُلُّهُمْ بينَ خائفٍ
مستجيرٍ وطامعِ
تركوا لذّةَ الْكَرى
لِلعيونِ الهواجعِ
ورعَوْا أنجمَ الدُّجى
طالعاً بعدَ طالعِ
لو تراهمْ إذا همُ
خطروا بالأصابعِ
وإذا هُمْ تأوّهوا
عندَ مرِّ القوارعِ
وإذا باشروا الثَّرى
بالخدودِ الضّوارعِ
واستهلّتْ عيونُهم
فائضاتِ المدامعِ (١)

(١) ديوان ابن الرومي ٤/١١٩ . دار صادر بيروت ١٩٦٥ م وتتجافى : تتجنب. والمضاجع: أمكنة النوم والإضطجاع. ومستجير: لائذ. طالب من يجيره. والكرى: النوم. والهواجع: جمع هاجعة، وهي النائمة. والقوارع: الشدائد، جمع قارعة، وهي يوم القيامة. واستهلت: ابتدرت، وسكبت.

(حتى متى نشتري الدنيا بآخرة)

وله من جيد الشعر، وهو يفيض حكمة وموعـظة وزهداً، قوله:

حتّى متى نَشْتـري الـدُّنيـا بِـآخِـرةٍ
سفـاهــةً ونبيــعُ الْفَـوْقَ بِـالـدُّونِ
مـعلّليــنَ بـآمــالٍ تــخــادِعُــنــا
وَزُخْرفٍ مِن غرورِ العيشِ موصونِ(١)

* * *

(فهل أنت عن غيّة مرتدع)

واستحسن من ابن الرومي قوله الزهدي:

ألا لــيسَ شيـبُـكَ بِـالْمُـنْـتَـزَعْ
فــهــلْ أنتَ عــنْ غَـيَّـةٍ مـرتـدِعْ
وهــلْ أنتَ تـاركُ شكـوى الـزمـانِ
إذا شئتَ تـشكـو إلـى مـسـتـمـعْ
فـشيْـبُ أخي الـشّيـبِ أمنـيّـةٌ
إذا مـــا تـنـاهـى إلـيـهـا هَـلَعْ(٢)

* * *

---

(١) شعر الزهد ص ٣٠٦.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٦.

(رضيت بدون الكفاية قوتاً)

ومن الذين عزفوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة والتهجد، أبو عقال بن علوان الذي ترك شعراً في الزهد يتميز بالبساطة والعفوية والسهولة، يقول ابن علوان مؤكداً ما قلناه:

أَجِبْ داعِيَ اللَّهِ لا تعصهِ
فقد جادَ بالنّصح جهراً ونادى
ولا تلْهَ بالموبقاتِ التي
أبادتْ بوائقُها مَن تمادَى
رضيتُ بِدونِ الكفايةِ قوتاً
وبِاللَّهِ عنْ كلِّ خَلْقٍ عِمادا
فأضحى الملوكُ وأهلُ النّعيمِ
أقلَّ الْبَرِيَّةِ عندي عِدادا
وأسقطْتُ لومي عنِ الْعالمينَ
فَمَنْ شاءَ ودَّ وَمن شاءَ عادى
فلم أرَ عيشاً كعيشِ القنوع
ولم أرَ مثلَ القنوعِ مُرادا[1]

(١) رياض النفوس ١/٤٢٨. والبوائق: أحداثها ونكباتها.

(لعمرك ما الدنيا بشَيء أريده)

وما أحسن ذمّه الدنيا ووصفه لها، إذ يقول:

لَعَمْـرُكَ مـا الـدّنيـا بشـيءٍ أُريـدُهُ
سـوى أنّـهـا نـزْلٌ وأنّـي مسـافـرُ
إذا أقـبـلَتْ يـومـاً عـليَّ بِـوُدِّهـا
فـإنّي بمـا تُـوليـه بـالبـرِّ كـافـرُ[1]

* * *

بكر بن حمّاد (ت ٢٩٦ هـ)

(كأنك قد أمنت من المعاد)

ومن جيد شعر الزهد، وأرقه، وأصدقه، ما خاطب به بكر بن حماد الزناتي، من تاهرت بالجزائر، نفسه. يقول بكر متأسياً بأخبار الماضين الذين لم تدم لهم الحياة:

نـهـارٌ مـشـرقٌ وظـلامُ لـيـلٍ
أَلَـحّـا بِـالْـبـيـاضِ وبِـالـسَّـوادِ
هُمـا هَـدَمـا دَعـائمَ عُمْـرِ نـوحٍ
ولـقـمـانٍ وشـدّادٍ وعـاد
فـيـا بـكـرَ بـنَ حـمّـادٍ تـعـجّـبْ
لِـقـومٍ سـافـروا مِـن غـيـرِ زاد

(١) المصدر نفسه ١/٤٣٧.

تبيتُ على فراشِكَ مطمئناً
كأنّكَ قد أمِنْتَ مِنَ الْمعادِ[1]

* * *

(فصفوها لك ممزوج بتكدير)

ومن شعر بكر بن حماد الزهدي الذي يصور فيه حرص الناس على الحياة الدنيا، وقد فاتهم أن الرزق مقدر، وليس للإنسان إلا ما هو في ظهر الغيب، قوله:

النّاسُ حرصٌ على الدّنيا وقد فسدتْ
فَصَفْوهَا لكَ ممزوجٌ بِتكديرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عليها لا تساعدُه
وعاجزٍ نالَ دنياهُ بِتقصير
لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمتْ
وإنما أدركوها بالمقادير
لو كانَ عنْ قدرٍ أو عنْ مغالبةٍ
طارَ البُزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ[2]

* * *

---

(١) شعر الزهد ص ١١٧. وعاد وشداد، من أشداء العرب الأقدمين. ولقمان، هو لقمان بن عادياء، الحكيم العربي القديم.

(٢) بهجة المجالس ١/١٤٣. والبزاة، جمع بازٍ، وهو من الطيور الكاسرة.

(فقولوا له يزداد في الطول والعرض)

وللتأكيد على ما ذهب عليه بكر في قوله السابق، يقول:

تبـاركَ مَـنْ سـاسَ الأمـورَ عـبـاده
وذلَّ لـهُ أهـلُ السمٰـواتِ والأرضِ
ومـن قَسَّـمَ الأرزاقَ بيـنَ عـبـادهِ
وفضَّلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فمنْ ظنَّ أنَّ الحـرصَ فيهـا يـزيـدُه
فقولوا له يزدادُ في الطّولِ والعرضِ[1]

* * *

بعضهم

(والدهر ذو فنون)

ومن بليغ القول في الزهد والتأسي بأخبار الماضين قول بعضهم:

مـا لـذّة الـعيش والـفتـى للدهر والدهـر ذو فنون
أهـلك لسماً وقـبل طـسماً أهـلك عـاداً وذا جدون
وأهـل جـاسـم ومـأرب وحـيّ لقمان والتّقـون
والـيـسر لـلعـسر والغـنـى لـلفقر والـحيّ للمنون[2]

* * *

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧.

(٢) البيان والتبيين ١/١٠٠. وطسم وعاد من الأمم والقبائل الغابرة. وذا حدون، من ملوك اليمن.

(أترضى بسبق المتقين إلى الله)

ومن الذين لهوا في حياتهم، وأسرفوا كثيراً في البذخ والترف والمجون، الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة يوماً وليلة، ثم خلع، فقتل، عبد الله بن المعتز، الشاعر المتفنن، والعالم بالبديع.

عبد الله بن المعتز، هذا، ترك شعراً في الزهد والحكمة والتوبة، وهو على جانب كبير من الجودة والفصاحة وحرارة العاطفة، وصدق الوجدان. يقول ابن المعتز:

إلى أيِّ حينٍ كنْتَ في صَبْوَةِ اللاّهي
أمَا لَكَ في شيءٍ وُعِظْتَ بهِ ناهي
ويا مذنباً يرجو مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ
أتَرْضى بِسبقِ المتّقينَ إلى اللَّهِ[٢]

* * *

(فعمرك أيام تعدّ قلائل)

ويقول، من بوح وجداني صادق، وشعر رائق، ونلمس فيه التوبة والندامة والحسرة:

---

(١) الديوان ص ٤٥٣ . دار بيروت ١٩٦١ م .

نَسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ
فأيّامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحِلُ
ولمْ أرَ مثلَ الموتِ حتى كأنَّهُ
إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطل
وما أقبحَ التّفريطَ في زمنِ الصِّبا
فكيفَ بهِ والشَّيبُ في الرّأسِ شاعل
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فَعُمْرُكَ أيّامٌ تُعَدُّ قلائِل[1]

* * *

(والعمر في لا شيء يذهب)

ومن جيد شعره الزهدي المعبر، ويتميز بالسهولة، قوله:

جَدَّ الزّمانُ وأنتَ تلعبْ
والعمرُ في لا شيءَ يذهبْ
كم قد تقولُ غداً أتوبُ
غداً غداً والموتُ يُقربْ[2]

* * *

(١) المستظرف من كل فن مستطرف ص٣١٣. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

(٢) الديوان ص٩٨.

(فليس يخطيء ما قد قدر الله)

ومن شعره الزهدي الرائع قوله:

مُسَهَّدٌ في ظلامِ اللّيلِ أوّاهُ
عَضَّتْهُ لِلدّهْرِ أنيابٌ وأفواهُ
إنْ كانَ يُخطيءُ سمعي ما أُقَدِّرُه
فليسَ يُخطِيءُ ما قدْ قَدَّرَ اللَّهُ[1]

* * *

الألبيري (ت ٣١٢ هـ)

(وذي غنى)

ومن الذين دعوا إلى العزوف عن الغنى، وجمع المال، والاكتفاء بالقليل من الزاد، أبو جعفر أحمد بن عمرو، الأندلسي، المعروف بالألبيري، وكان محدثاً ومتفقهاً. يقول في هذا المعنى، مؤكداً على أن لا شيء يدوم أو يبقى على حاله:

وَذِي غِنى أوْ هَمَتْهُ هِمَّتُهُ
أنَّ لِغنى عنهُ غيرُ منفصلِ

(١) الأغاني ١٤١/٩.

فَـجَـرَّ أذيـالَ عُـجْـبِـهِ بَـطراً
وَاخْـتـال لِـلكـبـريـاءِ فـي حُـلَل

بـرَتْـهُ أيـدي الـخـطوبِ بَـرْيَـةً
فَـاعْتـاضَ بعدَ الجديـدِ بـالسَّمـلِ

كـفى بِـنَيْـلِ الـكفـافِ مـنـه غنىً
عنـهُ فكـنْ منـهُ غـيـرَ محتفـلِ [1]

* * *

(يا عامر الدنيا)

ومن جيد شعره الزهدي، قوله:

يـا عـامـرَ الـدّنيـا لِتَسْكُنَهـا ومـا
هـي بـالّـتي يَـبقـى لـهـا سُـكّـانُ

تـغنـى وتـبـقـى الأرضُ بـعـدَكَ مـا
يبقـى المـنـاخُ وتـرحـلُ الـرُّكبـانُ

أأُسَـرُّ فـي الـدُّنيـا بـكـلِّ زيـارةٍ
وزيـارتـي فيـهـا هـي الـنُّقـصـانُ [2]

* * *

سريح بن يوسف (ت ٢٣٥ هـ)

(فالله يرزق لا عقل ولا حسب)

ومن الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، وإلى عدم

(١) شعر الزهد ص ٩٧. والسمل: البالي.

(٢) المرجع نفسه ص ١١٧.

السعي وراء الرزق. بالكد، والكدح، سريح بن يوسف بن إبراهيم البغدادي، وكان من المحدثين. يقول سريح:

يا طالبَ الرِّزقِ في الآفاقِ مجتهداً
أبقيْتَ نفسَكَ حتى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسعى لِرزقٍ كفاكَ اللّهُ مُؤْنَتَهُ
أقصِرْ فرزقُكَ لا يأتي بهِ الطَّلَب
فَاسْتَرْزِقِ اللّهَ ممّا في خزائنِهِ
فاللّهُ يرزقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ[1]

* * *

ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ)

(والناس بعد الحادثات سماع)

ومن أرق شعر الزهد، وأصوبه ما قاله علي بن محمد بن منصور، الأندلسي، والمعروف بابن بسام إذ هو راعه الشيب، فندم على ما فاته، وقال تائباً نادماً:

أقصرْتُ عنْ طلبِ البطالةِ والصِّبا
لما علاني لِلمشيبِ قِناعُ

(١) بهجة المجالس ١/١٤٠. وشفك: أسقمك. والمؤنة: القوت وما يدّخر منه.

فدعِ الصِّبا يا قلبُ وَاسْلُ عن الْهوى
ما منكَ بعدَ مشيبِكَ اسْتِمْتاعُ
وانْظُرْ إلى الدنيا بعينِ مودِّعٍ
فلقددنا سفرٌ وحانَ وداع
والحادثاتُ موكّلاتٌ بِالْفتى
والناسُ بعدَ الحادثاتِ سماعُ[1]

* * *

ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

(وكان مني الموت قيد يد)

ومن الذين تابوا إلى ربهم، وندموا على ما قصروا به في جنب الله، ثم راحوا يتصورون أنفسهم وقد تخطفهم الموت، أحمد بن محمد بن عبد ربه، الأندلسي، وصاحب «العقد الفريد» إذ يقول من الشعر الزهدي:

مَنْ لي إذا جُدْتُ بينَ الأهلِ والولَدِ
وكان مِنّي نحو المَوتِ قيدُ يدِ
والدّمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةٌ
فالدمعُ في صَبَبٍ والنفسُ في صعُدِ

(١) شعر الزهد ص ٢٦٠.

ذاك القضاءُ الذي لا شيء يَصرِفُهُ
حتى يفرِّقَ بينَ الرّوحِ والجَسدِ[1]

* * *

(لا بد لله من إنجاز ما وعدا)

ويقول ثانية، تائباً نادماً:

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخلصاءِ مجتهداً
والموتُ وَيْحَكَ لم يمددْ إليكَ يدا
وَارْقُبْ مِنَ اللَّهِ وعداً ليسَ مُخْلِفُهُ
لا بدَ لِلَّهِ مِن إنجازِ ما وَعَدا[2]

* * *

(إذا اخضر منها جانب جفّ جانب)

ويقول ابن عبد ربه ذاما الدنيا، ثالثة:

ألا إنّما الدنيا نضارةُ أيْكَةٍ
إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ
هي الدّارُ ما الآمالُ إلاّ فجائعٌ
عليها ولا اللّذّاتُ إلاّ مصائب

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه ١/٣١٩. والخلصاء: الخالصة والنصوح. يخلفه: يؤجله وينقضه.

فـلا تكتحِـلُ عينـاكَ فيهـا بِعَبْـرَةٍ
على ذاهبٍ منهـا فـإنّـكَ ذاهـب[1]

* * *

(فإن الحزن عاقبة السرور)

ومن أرق شعره الزهدي، وأصدقه لوعة ولهجة، قوله مخاطباً نفسه وقد تصورها ما تزال عاكفة على اللهو والفجور:

أتـلهـو بـيـنَ بـاطـيـةٍ وزيـرِ
وأنـتَ مِـنَ الْـهـلاكِ عـلى شَـفـيـرِ
فـيـا مَـنْ غَـرَّهُ أمـلٌ طـويـلٌ
يُـؤَدِّيـهِ إلـى أجـلٍ قـصـيـر
أتـفـرحُ والـمـنـيّـةُ كـلَّ يـومٍ
تُـريـكَ مكـانَ قبـرِكَ في القبـورِ
هي الـدنيا فـإنْ سَـرَّتْـكَ يـومـاً
فـإنَّ الـحـزنَ عـاقبـةُ الـسّـرورِ
ستسلب كـلَّ مـا جَمَّعْتَ منـهـا
كـعـاريـةٍ تُـرَدُّ إلـى الـمـعـيـر
وتـعـتـاضُ الـيـقـيـنَ مِـنَ الـتَّـظَنّـي
ودار الـحـقِّ مِـن دارِ الـغـرور[2]

(١) العقد الفريد ١/٣١٢. والأيكة، واحدة الأيك، الشجر المعروف. والعبرة: الدمعة.

(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٤. والباطية: زجاجة الخمر. والزير: وتر العود.

(طويت زماني برهة وطواني)

ومن جيد شعره الزهدي وقد أشرف على الموت، يقول ابن عبد ربه:

كِلانِي لِما بي عاذِلَيَّ كَفاني
طَويْتُ زماني برهةً وطَواني
بليتُ وأبليْتُ اللّيالِيَ مُكْرَهاً
وَصَرْفانِ لِلأيّامِ مُعْتَوِراني
ومالِيَ لا أُبْلى لِسبعينَ حجَّةً
وعشرٍ أَتَتْ مِن بعدِها سَنَتان
وإنّي بِعونِ اللَّهِ راجٍ لفِضلِهِ
ولي مِن ضمانِ اللّهِ خيرُ ضمان
ولستُ أُبالي مِن تباريحِ علّتي
إذا كانَ عقلي باقياً ولِساني[1]

* * *

(يا ربّ غفرانك)

ومن قول ابن عبد ربه في التوبة والزهد والاعتراف بالذنب:

يا وَيْلَنا مِن موقفٍ ما بهِ
أخوفُ مِنْ أنْ يعدلُ الحاكمُ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/١٣٤. والصرفان: الليل والنهار. واعتوراني: تداولاني والتباريح: الآلام. وكلاني: أتركاني.

أبـا رزُ الـلَّهَ بِـعـصـيـانِـه

ولـيسَ لـي مـن دونِـه راحـمُ

يـا ربِّ غُـفْـرانَـكَ عـن مـذنـبٍ

أسـرفَ إلاّ أنّـه نـادمُ(١)

* * *

ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ/ ٨٩٤ م)

ومن الشعر الزهدي القائم على أساس روح التوكل في الرزق على الله يقول عبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا:

ومَـنْ ظنَّ أن الـرزق يـأتي بحيـلة

فـقـد كـذّبتْـهُ نـفسُـهُ وهـو آثِـم

يَفـوتُ الغِنى من لا يَنامُ عن السّرى

وآخـرُ يـأتـي رزقَـهُ وهـو نـائِـم

سـأَصْبِـرُ إن دهـرٌ أنـاخَ بكـلكـلٍ

وأرضَى بحكمِ اللَّهِ فـاللّهُ حـاكم(٢)

* * *

---

(١) العقد الفريد ٣١٨/١.

(٢) بهجة المجالس ١٣٨/١.

البحتري (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)

(ولا مزرٍ بحظّي تأخّري)

ومن أشعار الزهد والقناعة التي طلع بها علينا أبو عبادة البحتري، قوله:

قنعْتُ وجانبْتُ المطالعَ لابساً
لباسَ محبٍّ لِلنّزاهةِ مُؤْثِرِ
وآنسني علمي بأنْ لا تقدُّمي
مفيدي ولا مُزْرٍ بحظّي تأخُّري
ولوْ فاتني المقدورُ مِمّا أريدُه
بِسَعْيٍ لأدركْتُ الّذي لم يُقدَّرِ[1]

* * *

بشر الحافي (ت ٢٢٠ هـ)

(فاستغنِ بالله)

من أشهر الزهاد الأتقياء، والصلحاء النجباء أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، المروزي الأصل، البغدادي النشأة، وشعره يتضمن آراء وأفكاراً تدعو إلى الاستغناء بالله، والاكتفاء بالقليل

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤.

القليل من المتاع، فإن متاع الدنيا قليل في الآخرة. يقول بشر مزهّداً:

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَرَضْخُ النَّوى
وشربْ ماءِ الأعيُنِ المالحَةْ
أعزُّ لِلإنسانِ مِن حرصِهِ
ومِن سؤالِ الأوجهِ الكالحةْ
فَاسْتغْنِ باللَّهِ تكنْ ذا غِنى
مغتبطاً بالصَّفْقَةِ الرّابحة
منْ كانتِ الدُّنيا بهِ بَرَّةً
فإنّها يوماً لهُ ذابحة[1]

* * *

(فلست أسلك إلا أوضح الطرق)

ويقول مؤكداً على وجوب الأخذ بالقناعة والكفاف:

قالوا قنعْتَ بِذا قلتُ القنوعُ غِنى
ليسَ الْغِنى كثرةَ الأموالِ والْوَرِقِ
رضيتُ باللَّهِ في عُسْري وفي يُسري
فلستُ أسلكُ إلّا أوضحَ الطُّرُقِ[2]

(١) تهذيب ابن عساكر ٢٣٧/٣. ورضح: كسر ودقّ. والكالحة: العابسة. وبرّة: وفيه.

(٢) شعر الزهد، ص ١٠٠.

(ولا عز أعز من القناعة)

وفي المعنى ذاته يقول بشر:

أفادتْني القناعةُ أيَّ عِزٍّ
ولا عزٌّ أعزُّ مِنَ الْقناعَةْ

فَخُذْ منها لِنفسِك رأسَ مالٍ
وصَيِّرْ بعدَها التّقوى بضاعَةْ[1]

ومن أجود شعر بشر في الزهد قوله:

ومِن عجبِ الدّنيا تُبَقّيكَ لِلْبلى
وأنكَ فيها لِلبقاءِ مريدُ

وأيُّ بني الأيامِ إلّا وعنده
منَ الدهرِ ذنبٌ طارفٌ وتليدُ

ومنْ يأمنِ الأيامَ أما اتّساعها
فخطرٌ وأما فجعُها فعتيد

إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ عنِ الهوى
فإنَّ فطامَ النفسِ عنه شديدُ[2]

* * *

---

(١) نفسه ص ١٠١.

(٢) الأغاني ١٢/١٣٩.

تـخـلّيْتُ عـنْ دنـيـايَ إلاّ ثـلاثـةً
دفـاتـرَ مِن علمٍ وبـيتـاً ومـسْجِـدا
غنِيتُ بهـا عنْ كـلِّ شيءٍ حـويْتُـهُ
وكـنتُ بـهـا أغنـي وأقنـى وأسْـعـدا
وكم قـدْ رأيْنا مِن عـزيـزٍ مشـرّفٍ
يبيتُ مُقِّـراً بـالـضّـلالـةِ مُجْـهَـدا
فَجَتْـهُ الْمنـايـا وهْـو في حينِ غَفْلَةٍ
فَـأَضْحى ذليلاً في التّـرابِ مُوَسَّـدا[1]

* * *

(وحبّست نفسي بين بيتي ومسجدي)

ولعل في هذين البيتين التاليين ما يؤكد المعنى السابق خير تأكيد، فيقول:

وأصبحْتُ في ما كنتُ أبغي مِنَ الْغِنى
إلى الـزُّهدِ في الـدُّنيا الـدَّنِيَّةِ أَحْـوَجـا
وحَبَّسْتُ نفسي بينَ بيتي ومسـجِـدي
وقد صرْتُ مثلَ النَّسْرِ أهوى التعرّجا[2]

---

(١) نفسه ٩٥. وفجته: أصلها: فجأتـه، بحذف الهمـز. وأقنى: أكثر قنية وغنى.

(٢) نفسه ص ٩٦.

(فليس بما لك منه نقيرا)

وزيادة في التأكيد على الزهد بالحياة، يورد الشاعر قوله:

وكَمْ مِنْ طَـالـبٍ لِلمـالِ يَسْعـى
ويـركـبُ فـي مـطالبـهِ البُحـورا
فـعـادَ يـودُّ أنْ لـوْ كـانَ أمسـى
فـليسَ بِمـالـكٍ منـهُ نـقـيـرا[1]

* * *

كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م)

(والنار قد يطفئها النافخ)

ومن ألطف معاني الزهد، ما قاله كشاجم، وهو لقبه، واسمه أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب، أحد أبرع شعراء الوصف في العصر العباسي الثاني. يقول كشاجم:

ومستـزيـد في طِـلابِ الْغِـنى
يـجمـعُ لَـحْمـاً مـا لَـهُ طـابـخُ
ضـيّـعَ أمـوالاً بـمـا يـرتـجـي
والنّـارُ قـد يُـطْفِئُهـا النّـافِـخُ[2]

(١) نفسه ص ٩٦. والنقير: نكتة صغيرة في النواة، وهي كناية عن أحقر الأشياء.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ٥١٩.

(فما سؤلنا إلاّ المودة من أجر)

ومن الشعر الزهدي ما قاله حرب بن المنذر بن الجارود، وهو التالي:

فَحَسْبي مِنَ الـدُّنيـا كفـافٌ يُقيمُـني
وأثـوابُ كـتّـانٍ أزورُ بـهـا قَـبْـري
وحُـبّي ذَوِي قُـرْبـى النبيِّ مـحمّـدٍ
فمـا سُـؤْلُنـا إلاّ المـودّةُ مِنْ أجـرِ[1]

* * *

(واحسرتي)

ومن أرق شعر الزهد وأبلغه قول بعضهم:

واحسـرتي في يـوم يجمـعُ شـرّتي كَفَنٌ وَلَحـدُ
ضيّعتُ مـا لا بُـدّ منه بـالـذي لي منـهُ بُـدُّ[2]

* * *

(١) البيان والتبيين ٣/٥٥٣. والبيت الثاني مصداق للآية الكريمة: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

(٢) رسالة الغفران ص ٤١. والشرّة: الحدّة.

(ففيم التزاحم في المركز)

ومن نادر الشعر الزهدي، وألطفه إشارة، وأعمقه معنى، ما قاله الفيلسوف الإسلامي أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي، ويظهر فيه أثر الرياضة والفلسفة واضحاً. يقول الفارابي:

أخي خَلِّ حَيِّزَ ذي باطلٍ
وكُنْ لِلحقائقِ في حَيِّز
فما الدّارُ دار خلودٍ لَنا
ولا المرءُ في الأرضِ بِالْمُعْجِز
وهل نحنُ إلّا خطوطٌ وقعْنَ
على كُرَةٍ وَقْعَ مستوفزِ
ينافسُ هذا لِذاكَ على
أقلَّ مِنَ الكَلِم الموجزِ
محيطُ السمواتِ أُوْلى بِنا
ففيمَ التّزاحمُ في المركَزِ(١)

* * *

(١) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٨. والحيز: المكان. والمستوفز: المتهيء للقيام.

(مهلاً فما اللذات إلا خدع)

ومن ألطف أشعار الزهد والوعظ، ما قاله أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو المشهور في مباحث الفقه والتفسير والأدب، يقول أبو الفرج واعظاً:

يا نادباً أطلالَ كلِّ نادي
وباكياً في إِثْرِ كلِّ حادي
مستلَبَ القلبِ بِحُبِّ غادةٍ
غدتْ فإنَّ البيْنَ بالفؤادِ
مهلاً فما اللّذّاتُ إلاّ خُدَعٌ
كأنَّها طيفُ خيالٍ غادي[1]

* * *

(يا ساكن الدنيا تأهب)

ومن أفضل شعره الزهدي، قوله:

يا ساكن الدّنيا تأهّبْ
وَانْتظرْ يومَ الفراقِ

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ١/٤٢٥. القاهرة ١٩٥٢ م والبين: الفراق. والغادي: السائر صبحاً.

وأعـدَّ زاداً لـلرّحـيـلِ
فـسـوفَ يُـحـدى بـالـرّفـاقِ
وَابْـكِ الـرّبـوعَ بـأدمـعٍ
تـنـهـلُّ مِـنْ سُـحُـبِ الأمـاقِ
يـا مَـنْ أضـاعَ زمـانَـهُ
أرضِـيـتَ مـا يَـفـنـى بِـبـاقِ[1]

* * *

ابن أبي زندقة (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)

(إنها ليست لحيّ وطنا)

ومن الشعر الذي يعبر فيه أبو بكر محمد الطرطوشي، المعروف بابن أبي زندقة الأندلسي، عن زهده بالحياة الدنيا، والدعوة إلى العمل الصالح، قوله، وهو يتميز بالسهولة:

إنَّ لِـلَّهِ عـبـاداً فُـطُـنـاً
طَلَّقـوا الـدُّنـيـا وخـافـوا الفِتنَـا
فَـكَّـروا فـيـهـا فـلمّـا عـلمـوا
أنّـهـا لـيـسـتْ لِـحَـيّ وطـنـا

---

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي ١/ ٤٤. مخطوطة الأزهر رقم ٦٧٦٥. ويحدى: يغنّي لهم حداء. والأماق: محاجر العيون. جمع مؤقة.

جـعـلوهـا لُـجّـةً واتّـخـذوا
صـالـحَ الأعمـالِ فيهـا سُفُنـا[1]

* * *

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م)

(فما يقبل اليوم منك اعتذار)

ومن الشعر الذي يندرج في دائرة الزهد، أو ما يشبه الزهد، ما قاله الرحالة الأندلسي الشهير، محمد بن أحمد بن جبير:

خـلقْـتَ الـعـذارَ بِـشـيْـبِ الـعـذارِ
فمـا يُقـبـلُ اليـومَ مـنـكَ اعتـذارْ
وقـالـوا الـمـشيـبُ وقـارُ الـفـتـى
وهـذا الـمـشـيـبُ فـأيـنَ الـوقـار
جـلا صبحُـه عنـكَ ليـلَ الشّبـابِ
فـشـمـسُـكَ مُـؤْذِنَـةٌ بِـاصْـفِـرار
أراكَ صـحـبْـتَ حـيـاةَ الـغـرورِ
وتـسـحـبُ جـهـلاً ذيـولَ اغْـتـرار
ألـسـتَ تـرى كـدراً صـفـوَهـا
ونجمـكَ قـد مـالَ يبغـي انْكـدار

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/١٦٩. وفطن: أذكياء واللجّة: معظم الماء.

وكـيـف تـنـامُ عـلـى غـرّةٍ
وسيفُ المنيّـةِ مـاضـي الـغِـرار
فـلو كـنـتَ تـحـذرُ صـرفَ الـرّدى
إذاً لَـنَفـى النّـومَ عـنـكَ الـحِـذار
عـبـرتَ مـراحـلَ عـمـرِ الأشـدِّ
ولـستَ أرى لـك فـيـهـا اعـتـبـار
وجـرتَ بـهـا عن طـريقِ الـهـدى
صـلاةً وتـعـدو عـلـى أنْ تُـجـار
أتـاكَ الـرّحـيـلُ فـشـمِّـرْ لـهُ
فـإمّـا إلـى جَـنّـةٍ أو لِـنـار
وكـيـف تـقـرُّ بِـدنـيـاكَ عـيـنـاً
ولـم تـدرِ أيـنَ يـكـونُ الـقـرار[1]

* * *

(وما الدنيا لساكنها بدار)

ولابن جبير، هذان البيتان الرائعان من الشعر الزهدي:

أراكَ مِـنَ الْـحـيـاةِ عـلى اغـتـرارِ
ومـالَـكَ بـالإنـابـةِ مِـن بـدارِ

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٢١٢. ج ١. مجلد ٢٩. ١٩٨٥ م.
والعذار: جانب اللحية. وخلع عذاره: إبهمك في الغيّ، والغرة: الغفلة.
والغرار: القالب يضرب عليه النّصال.

وتـطمـعُ فـي البـقـاءِ وكيفَ تبـقى
وما الـدّنيـا لِسـاكِـنهـا بِـدارِ[1]

* * *

(وما يرجى لتوبته قبول)

وله أيضاً:

يُـنـيـلُ الـمـرءَ تبـصـرةٌ وذكـرى
إذا مـا ابْـيضَّ فَـوْداه وشـابـا
ومـا يُـرجـى لِـتـوبـتـهِ قـبـولٌ
إذا مـزجَ الـرِّيـاءَ بـهـا وتـابـا[2]

* * *

ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١ م)

(فأنت يا مولاي أولى به)

من نـادر شعر الـزهد في الحيـاة، والتـوبـة من الـذنب، والتضرع إلى الله والتورع عن المحارم، ما قاله أبو الحسن يحيـى بن عيسى، المعروف بابن مطروح، وكان ملازماً لملوك

(١) المرجع نفسه ص ٢١٣. والبدار: الإسراع.
(٢) المرجع نفسه ص ٢١١. والفودان، مثنى فود، وهو جانب الرأس مما يلي الأذن.

بني أيوب في مصر والشام. يقول ابن مطروح، مناجياً ربه، تائباً إليه، وهو من أسهل الشعر وأبينه:

يـا أيُّهـا الشّـامـخُ فـي قُـرْبِـهِ
يـا أيُّهـا الـظاهـرُ في حُـجْـبِـهِ
بِـالْـبـابِ كـلبٌ وجِـلٌ خـائـفٌ
مِـن طـولِ مـا أسلفَ مِـن ذنبِـه
جـاءكَ يستغفر مـا قـد جنـى
مُـلْقـىً مِـنَ الـذُّلِّ على جـنـبِـهِ
وهْـو معَ الخـوفِ شـديـدُ الرّجـا
فـأنـتَ يـا مـولايَ أَوْلـى بـهِ
مُـنَـكِّسٌ مِـنْ خَـجَـلٍ رأسَـهُ
بـاسطُ خـدَّيْـهِ عـلى تُـرْبِـه
فـهـلْ لـهُ غـيـرُكَ مِـن راحـمٍ
هـل يـرحـمُ الـكـلبَ سـوى ربِّـه
وهـل لـه فـيـكَ طُـمَـأْنـيـنـةٌ
تـدخـلُ بـالأمـنِ على قـلبـهِ[1]

* * *

(١) ديوان ابن مطروح ص ١٢١. مطبعة الجوانب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.

(وكل الذي دون الممات قليل)

ومن أروع ما قيل في الزهد والحكمة، ما قاله بعضهم:

لِكُـلِّ اجتمـاعٍ مِنْ خليليْنِ فـرقـةٌ
وكـلُّ الـذي دونَ الممـاتِ قـليـلُ
وإنَّ افْتقـادي واحـداً بـعـدَ واحـدٍ
دلـيـلٌ على أنْ لا يـدوم خـليـلُ[1]

* * *

(والفوز فوز الذي ينجو من النار)

ومن بديع الشعر قول بعضهم في التوبة والزهد:

إنَّ الشَّقِيَّ الَّـذي في النَّـارِ منـزلُـهُ
والفـوزُ فـوزُ الـذي يَنْجـو مِنَ النَّـارِ
يـا ربِّ أسـرفْتُ في ذنبي ومعصيتي
وقـد عـلمْتُ يـقيـنـاً سـوءَ آثـاري
فـاغفـرْ ذنـوبـاً إلٰهي قـد أحـطْتَ بِهـا
ربَّ العبـادِ وزَحْـزِحْني عنِ النَّـارِ[2]

---

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

في ما بعد العصر العباسي

ابن الثّردة (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)

(يا أيها النائم)

ومن أعجب أخبار علي بن إبراهيم المعروف بابن الثـردة الواعظ بمسجد دمشق في القرن الثامن الهجري، أنه كـان يتخذ كارة، أي صرّة، يحملها تحت إبطه فلا تفارقه ليلاً ولا نهاراً، وكانت تضمّ ما قاله من قصائد وموشحـات في الغزل والوعظ والزهد، وإن منها هذه الأبيات الموشحة الزهدية:

يا أيُّها النائمُ كَمْ هذا الـرُّقادْ
إنْـتَـبِـهْ كـمْ نَـوْمْ
انتبهْ مِن ذا الكرى يا ذا الجمادْ
تـلحـقْ بِـالْـقـومْ
وتـأهّبْ لِغَـدٍ يـوم المعـادْ
يـا لَـهُ مِـنْ يَـوْمْ

وَافْعَلِ الْخيرَ لِتحظى بالنّجاحْ

لا تـكُـنْ كـسـلانْ

واجتهدْ فالمجتهدْ يلقى الفلاحْ

وَيَـرى الإحـسـانْ

قد تقضّى العمرُ دَعْ لَهْوَ الصِّبا

أيُّـهـا الـغـافـلْ

لا تكنْ مِمَّنْ إلى الجهلِ صَبا

تَـعِسَ الـجـاهـلْ

كـلُّ شيءٍ تهبُ الـدّنيـا هُبـا

لـيسَ بِـالـطّائـلْ

كم حريصٍ خلّفَ الدّنيا وراحْ

لابسَ الأكـفـانْ

وأخـو الفقرِ تُـوُفِّي فَاسْتـراحْ

قـلبُـه الـتّـعـبـانْ[1]

* * *

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٢٠٥ ـ ٢٠٦. وهبا: مقصور هباء، وهو الغبار، ويوم المعاد: يوم القيامة. والكرى: النوم.

عمر الأنسي (ت ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م)

(رغبت عن الدنيا)

ومن شعر عمر بن محمد الإنسي، الأديب والشاعر اللبناني، قوله في الزهد:

رغبْتُ عنِ الدُّنْيا وزخرفِ أهلِها
وقلتُ لِنفسي إنّما العيشُ في الأُخْرى
فَدَعْني وزُهْدِيَ في الْحطامِ فإنّني
أرى الزّهدَ في الدّنيا هو الراحةُ الكبرى[1]

* * *

الحسن بن الهبل (ت ١٠٧٩ هـ)

(وإنما الآخرة المنزل)

وللحسن بن علي بن جابر الهبل اليمني، الذي اشتغل بالعلوم والآداب، شعر رائع في وصف الدنيا، يميل فيه إلى الزهد والوعظ والتأمل والمناجاة، يقول الحسن بن الهبل)

أينَ اسْتَقَرَّ السَّفرُ الأوّلُ
عمّا قريبٍ بهمْ ننزلُ

(١) المرجع نفسه ٢/٣٢٨. والحطام: يريد به حطام الدنيا وزينتها.

مَـرُّوا سـراعـاً نـحـوَ دارِ الْـبَـقـا
ونـحـنُ فـي آثـارِهـم نـرحـلُ
مـا هـذهِ الـدُّنـيـا لـنـا مـنـزلاً
وإنّـمـا الآخـرةُ الـمـنـزلُ
قـد حـذَّرتْـنـا مِـن تـصـاريـفـهـا
لـوْ أنّـنـا نـسـمـعُ أو نـعـقـل
يُـطـيـلُ فـيـهـا الـمـرءُ آمـالَـهُ
والـمـوتُ مِـن دونِ الـذي يـأمـل
يـحـلـو لـه مـا مـرَّ مِـن عـيـشِـهـا
ودونَـه لـو عـقـلَ الـحـنـظلُ
أَلْـهَـتْـهُ عـن طـاعـةِ خـلّاقـه
والـلَّهُ لا يـلـهـو ولا يـغـفـل
يـا صـاحِ مـا لـذّةُ الـعيشِ بـهـا
والـمـوتُ مـا تـدري متـى يـنـزل
يـدعـو لـيَ الأحـبـابُ مِـن بـيـنـنِـا
يُـجـيـبُـه الأوّلُ فـالأوّل
يـا جـاهـلاً يـجـهـدُ فـي كـسـبِـهـا
أغـرّكَ الـمـشـربُ والـمـأكـل
ويـا أخـا الـحـرصِ على جـمـعِـهـا
مـهـلاً فَـعَـنْـهـا فـي غـدٍ تُـسـأل

لا تــتعــبَنْ فــيهــا ولا تــأســفَــنْ
لِــمــا مــضــى فالأمــرُ مــســتقــبل
مــا قــولُــنــا بيــنَ يــديْ حــاكمٍ
يــعــدلُ في الــحــكــمِ ولا يــعــزل
مــا قــولُــنــا لِــلَّهِ فــي مــوقــفٍ
يــخــرسُ فيــه الــمِصْــقَــعُ المِقْــوَل
وإنْ سُئِــلْنــا فــيــه عــن كــلِّ مــا
نــقــولُ فــي الــدنــيــا ومــا نــفــعــل
مــا الــفــوزُ لِلعــالــمِ فــي عــلمِــه
وإنّــمــا الــفــوزُ لِــمَــنْ يَــعــمــلُ[1]

* * *

(رويدك من كسب الذنوب)

وله أيضاً:

رَوَيْــدَكَ مِن كسبِ الــذّنــوبِ فــأنتَ لا
تــطيقُ على نــارِ الجحيمِ ولا تَقْــوى

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبِّي ٣١/٢. مكتبة خياط. بيروت والسفر: جماعة المسافرين. وتصاريف الدنيا: حوادثها. والحنظل؛ نبات مرّ والمصقع المقول: الخطيب البارع في القول والخطابة.

أتـرضى بـأنْ تَلْقى المهيمنَ في غـدٍ
وأنتَ بِلا علمٍ لَـدَيْـكَ ولا تقـوى[1]

* * *

ابن عطيف (ت ١٠٨٩ هـ)

(وما يعنيك لا تهدم مشاده)

ومن الشعر الوعظي الزهدي المسمى بنظم التلقين، ما قاله حسن بن موسى المعروف بابن عطيف الدمشقي. يقول ابن عطيف:

تَـتَبَّـعْ يـا فـتىً طُـرُقَ السّـعـادةْ
فـتـلكَ إذا وصـلْتَ هـي الـسّـعـادةْ
وجَنِّبْ نـفسَـكَ الـشُّبُـهـاتِ وَاصْبِـرْ
وفي مـا حـلَّ فَـالْـزمهـا الـزّهـادة
وحـبَّ الـلَّهِ آثـرْهُ وأحـسِـنْ
وقـمْ بِـالـواجبـاتِ مِنَ الْـعـبـادة
وعـظِّم أمـرَهُ تـعـظيـمَ عـبـدٍ
تَـيَـقَّـنَ رحـلةً فـأعـدَّ زاده

(١) المصدر نفسه ٢/٣٣. والمهيمن: اسم من أسماء الله تعالى، ويعني القوي المسيطر.

ولا تـفـرحْ بـمـا أُوتـيـتَ وَانْـدم
على التّفـريطِ عن طلبِ السعـاده
تـجنّـبْ مـا نـهـاكَ الـلّهُ عـنـه
ومـا يَعنيـكَ لا تـهـدمْ مُـشـاده
تصـوَّرْ بعـدَ مـوتِـكَ مـا تُـلاقي
فـبـديُ الأمـرِ تـمـكنُـه الإعـادة
وجـنِّبْ نفسَـكَ الـدُّنيـا فمنْ لـم
يُـحـاذرْهـا فـقـد مـلكتْ قـيـادة
ومـهـمـا آذنَـتْ بِـصـلاحِ أمـرٍ
تـراه صـالـحـاً فَـاحْـذرْ فـسـاده
وَرَجِّ الـخـيـرَ فـي الأحـوالِ إلاّ
لِـذي ذنـبٍ فـخـفْ وَاقْـدَحْ زنـاده
ومـهمـا أمكنـتْـكَ خـصـالُ خـيـرٍ
فـآثِـرْهـا تـفـزْ وحُـزِ الإجـادة[1]

* * *

محمد الكواكبي (ت ١٠٩٦ هـ)

(حتّام في ليل الهموم)

ومن الشعر الزهدي الداعي إلى الإنابة لله، والتضرع إليه،

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٦٨.

قول محمد بن حسن الكواكبي، الحلبي، وكان مفتياً، وفقيهاً وشاعراً:

حَتَّامَ في لَيْلِ الهمومِ
زنادَ فكرِكَ تَقْتَدِحْ
قلبٌ تحرَّقَ بالأَسَى
ودموعُ عينٍ تنسفحْ
إرفقْ بنفسِكَ واعتصمْ
بِحمِى المهيمنِ تنشرحْ
وَاضْرعْ له إنْ ضاقَ
عنكَ خناقُ حالِكَ تنفسح
ما أمَّ ساحةَ جودهِ
ذو محنةٍ إلّا مُنِح
أو جاءَه ذو المعضلاتِ
بِمُغْلَقٍ إلاّ فُتِحَ
فدعِ الْهوى وَانْهج على
نهجِ السَّوِيِّ المتَّضِح
وَاسْمَعْ مقالةَ ناصحٍ
إنْ كنتَ مِمَّنْ ينتصح
ما تمَّ إلاَّ ما يريدُ
فدعْ مرادَكَ وَاطَّرِح

وَاتْــرِكْ وســاوِسَــكَ الــتـي
شــغَــلَــتْ فــؤادَكَ تــســتــرحْ[1]

* * *

إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(يا عالم الأسرار)

ومن الشعر الوجداني الزهدي القائم على الرجاء واستعطاف العزّة الإلهية، ما قاله إسماعيل صبري باشا، الأديب والشاعر المصري. يقول إسماعيل مناجياً ربّه، ومتسائلاً ومستعطفاً:

يــا ربِّ أيــنَ تُــرى تُــقــامُ جــهــنّــمُ
لِــلــظّــالــمــيــنَ غــداً ولِــلأشــرارِ
لم يُبْقِ عفــوُكَ في السّمــواتِ العُلى
والأرضِ شــبــراً خــالــيــاً لِــلــنّــار
يــا ربِّ أَهِّــلْني لِــفضــلِكَ واكفنــي
شَــطَطَ الــعقــولِ وفــتــنــةَ الأفــكــار
وَمُــرِ الْــوجــودَ يشفَّ عنــكَ لِكيْ أرى
غــضبَ الــلّطيفِ ورحــمــةَ الــجبّــار

(١) خلاصة الأثر، للمحجي ٣/٤٣٨ ـ ٤٣٩.

يـا عـالمَ الأسـرارِ حَسْبي مـحنـةً
علـمـي بـأنَّـكَ عـالـمُ الأسـرار
أخْلِقْ بِـرحمتِـكَ الّتي تسـعُ الـورى
أنْ لا تـضيـقَ بـأعـظمِ الأوزارِ[1]

* * *

رشيد عطاالله (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(إنما الأكدار فيها شبه نوّ)

ومن الشعر الذي نظمه في صدر حياته في الزهد وغرور الدنيا، رشيد يوسف عطاالله الأديب والشاعر اللبناني، قوله من أبيات على رويّ الواو الساكنة:

عـاشقَ الـدّنيـا إلى مـا أنتَ غـوّ
قـلب أيّ ودّهـا ولـم يُـدَوّ
قـد ظننتَ مـاءَهـا يَـرْوي الـظّمـا
أتـرومُ الـرّيَّ والإنـاءُ ضَـوّ
كـلُّ خـيـرِ نـازحٌ عـنـهـا ألا
إنّـمـا الأكـدارُ فـيـهـا شبـهُ نَـوّ

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٣٤٦. والأوزار: الذنوب، جمع وزر. ويشف: يرق ويظهر. والشطط: تجاوز الحدّ.

فبِجامِ الرّاحِ تَسْقيكَ الرّدى
وكأيٍّ جدحَتْ سمّاً بِخَوّ
واذكِرْ في أربعٍ لا تنسَها
إنّ ذِكراها لِنورِ اللّهِ كَوّ
موتُ جسمٍ عاجلاً أو آجلاً
دينُ نفسٍ ثم دارُ الْخُلْدِ أوْ[1]

* * *

(مولاي قد نامت عيون)

من أرق شعر التأمل في الوجود والزهد بالحياة، ما قاله حمزة الملك طنبل، الشاعر السوداني المعاصر، والرومنتيكي النزعة، من قصيدة يناجي فيها ربّه وأسماها: جوف الليل. يقول حمزة الملك:

مولايَ قد نامتْ عيونْ
وتيقّظتْ أيضاً عيونْ

(١) نفسه ٢/٣٩٨. والغو: مخفف غوٍ، وهو الفصيل المهزول، كناية عن اللهو ودوّى. سار في الدو، وهي الفلاة. والصو: الفارغ، مخفف صوٍ والنو: المطر. وجدحت: خلطت. والخو: العسل. وهووها. عشقوها. وهووا. سقطوا وماتوا. والكو: النافذة، مخفف كوّة.

نـامـت عـيـونُ الـخـائـنـيـنَ

وعـيـنُ نـجـمـكَ لا تـخـونْ

تـرنـو إلـيـنـا وهـي سـاهـيـةٌ

عـنِ الـدّنـيـا الـخـؤونْ

أتـراه أذهـلَهـا جـلالُ

الـلَّهِ أم مَـرُّ الـقـرونْ

أم أنَّ مَـن فـوقَ الـثّـرى

لا يـسـمـعـونَ ولا يـعـونْ

يـا ويـحَ نفسيَ وهي تـرسفُ في سجـونْ

آمنتُ أنَّ الفردَ فوقَ الأرضِ أحقرُ ما يكونْ

مولايَ لو خَيَّرْتني لاخْتَرْتُ أنّي لا أكونْ[1]

* * *

التيجاني البشير (القرن العشرون م)

(الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه)

وقريب من الشعر الآنف الذكر، ما يقوله معاصره التيجاني يوسف بشير، وهو الذي تأمل الوجود، وأشرف على تجلّيات الله تعالى في الكون والكائنات، يقول من أبيات له:

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٤٢٧.

كلُّ ما في الكونِ يمشي في حناياهُ الإلٰهْ
هـذهِ النّملةُ في رِقّتِها رَجْعُ صَداهْ
هـو يحيا في حواشيها وتحيا في ثراه
هـي إنْ أسلمتِ الرُّوحَ تلقّتْها يداه
لم تمتْ فيها حياةُ اللّهِ إنْ كنتَ تراه
الوجودُ الحقُّ ما أوسعَ في النّفسِ مداه
والسّكونُ المحْضُ ما أوثقَ بِالرّوحِ عُراه
كلُّ ما في الكونِ يمشي في حَناياهُ الإلٰه
هـذه النملةُ في رقتِها رجْعُ صداه
هـو يحيا في حواشيها وتحيا في ثراه
وَهْيَ إنْ أسلمتِ الرّوحَ تلقّتْها يداه
لم تمتْ فيها حياةُ اللّهِ إنْ كنتَ تراهْ[1]

(١) نفسه ٢/٤٢٨.

ثبت المصادر والمراجع

- أخبار الشعراء للصولي، جمع وتحقيق هـوارت دن. بغداد وبيروت.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، دار صعب. بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط بولاق وط دار الكتب.
- بهجة المجالس للقرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتاب العربي، بيروت.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية لرشيد يـوسف عطا الله، تحقيق علي عطوي، ط ١. دار عز الدين، بيروت ١٩٨٥ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
- حميد ثور: حياته وشعره. لرضوان النجار، رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي، مكتبة خياط بيروت.

- ديوان ابن الرومي، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان ابن مطروح، مطبعة الجوائب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.
- ديوان ابن المعتز، مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١ م. نشر دار بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان أبي تمام، شرح التبريزي تحقيق محمد عزام دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي العتاهية، دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي نواس تحقيق أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي. بيروت.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، المطبعة العلمية، القاهرة، طبعة منقحة ١٣١٩ هـ.
- ديوان بشار بن برد، شرح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.
- ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح التبريزي ط ١. دار القلم. بيروت.
- ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان الشافعي تحقيق زهدي يكن دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس. ط الكويت ١٩٦٢ م.

ـ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب تحقيق محمد خان الفقي. مطبعة السنّة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ م.
ـ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صعب بيروت ١٩٦٨ م.
ـ زهر الآداب وثمر الألباب للحصري أ ـ تحقيق علي البجاوي. ط ١. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
ب ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٤. دار الجيل. بيروت ١٩٧٢ م.
ـ شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لعلي عطوي. ط ١. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.
ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر.
ـ العقد الفريد لابن عبد ربه أ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٥ م.
ب ـ وشرح خليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
ـ عيون الأخبار لابن قتيبة. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
ـ الكامل في اللغة والأدب للمبرد مكتبة المعارف. بيروت.
ـ مجلة معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ م.
ـ المحاسن والأضداد للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٩ م.
ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب

الأصبهاني، دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م.
- المستـطرف من كـل فن مستـطرف لـلأبشيهي دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر للسيد محسن الأمين بيروت ١٤٠١ هـ.

الفهرس

الباب الثالث

مطابع يوسف بيضون
بيروت – هاتف: ٨٣٧٦٦٧ ـ ٨٣٧٤٤٩ ـ ٤٦٠٧٤٣

هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى اطلاع القاريء على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب في الزهد، على امتداد أعصر الأدب العربي. ولئن كان من أهم ما يعلق بالذهن من معاني الزهد، الرغبة عن الشيء، وعدم الحرص عليه، والقناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، فإن ثمة معاني أخرى قد لا تقل أهمية عن الأولى، وهي طبعت شعر الزهد بطابعها المميز فدفعت به قدماً إلى الأمام، وبوأته مكانة عالية في الشعر العربي، عنينا الكفّ عن المحارم، والتوبة النصوح إلى الله، والتضرع إليه، ونهي النفس عن الهوى.. وفي جميع الأحوال فإن الغاية من هذا الكتاب، وكما ألمعنا من قبل، هي اطلاع القارىء على أروع ما قيل في الزهد، مما يهذّب النفس، ويزيدها رقة وشفافية وصفاء، هذا فضلاً عما يرضي الذوق، ويثير الإحساس بروعة الأداء الشعري والجمال التعبيري.